(٦)
المشهد الاجتماعي

عنصرية متصاعدة وفساد متزايد

نبيل الصالح

مدخل

يتناول فصل المشـــهد الاجتماعيّ في هذه السنة أبرز المظاهر الاجتماعيّة التي توضّح طبيعة الثقافة السياســـيّة ومنظومة القيم الســـائدة في المجتمع الإسرائيلي، اللتين يتفق الكثيـــر من المحللين والأكاديميين في إســـرائيل على تآكل هامشـــهما الديمقراطيّ أو في أحسن الحالات تراجع السمات الديمقراطيّة في هذه الثقافة لصالح اعتبارات أيديولوجية ومصالـــح أخرى. هذه المظاهر البارزة هي ســـلوك المجتمع والدولة بمركباتهما المختلفة عندما تعتريهما حالة من الهلع أمام عدو خارجيّ، وهو سلوك عنيف تحركه دوافع انتقاميّة ودعـــوات علنية إلى القتل وفرض العقوبات الجماعيّة، حتى من طرف وزراء وشـــخصيات تمثيليّة.

ثم يتناول الفصل تمظهرات العنصرية في المجتمع الإســـرائيلي، ضد اليهود الأثيوبيين والشرقيين والعرب، مع أن العنصريّة تعدّت في ٢٠١٥ الانتماءات الطائفية والقوميّة.

ومن المؤشـــرات الأخرى على ضعف الثقافة السياسيّة الديمقراطيّة في إسرائيل وعلى عدم تذويت القيم الديمقراطية في هذه الثقافة ازدياد حالات التورّط في الفساد، وانتشاره ليغطي كل مؤسسات الدولة والقطا ع العام ويلحق بجميع الرتب والمناصب، ولذلك خصّص له هذا الفصل اهتمامًا كبيرًا بســـبب تأثيره على مستوى المشاركة السياسيّة وعلى الثقة بمؤسســـات الدولة وهمـــا عاملان يؤثران علـــى نحو جدي على فرص الانتقـــال بالثقافة السياسيّة إلى الأفضل.

في الجزء الأخير من الفصل رأينا أن نرصد بعض التغيرات التي تنبئ بتحولات حتى في أوساط المتدينين المتزمتين في إسرائيل، فهناك أيضًا تتأثر منظومة القيم السائدة بمنظومات قيم تتلاقح معها، سواءً أكان ذلك مرغوبًا أم مرفوضًا.

شهد المجتمع الإسرائيلي تفاقمًا كبيرًا في هيمنة الخطاب العنيف التحريضي والعنصري.

١. المجتمع الإسرائيلي في حالة هلع – امتحان للثقافة السياسيّة السائدة

في الربع الأخير من ٢٠١٥، وتحديدًا بعد عمليات المقاومة الفلسطينيّة للاحتلال، في القدس أولا ثم في باقي المناطق الفلسطينيّة المحتلة، شهد المجتمع الإسرائيلي تفاقمًا كبيرًا في هيمنة الخطاب العنيف التحريضي والعنصري، إضافة إلى ما لحق بالحقوق والحريات الأساسيّة، مثل الحق في الحياة وسلامة الجسد وحرية التعبير والتظاهر من مسّ وتقييدات صارمة. وفي صدد هذه المميزات للثقافة السياسيّة في إسرائيل، صرّح رئيس المعهد الإسرائيلي للديمقراطية، مشيرًا إلى خطورة الوضع الذي نحنُ بصدده أنّ إسرائيل تعيش يوميًا حربًا على الديمقراطية، حيثُ يشير مؤشِر الديمقراطيّة، الذي يجريه وينشره سنويًا، المعهد الإسرائيلي للديمقراطية، إلى غياب ثقافة سياسيّة ديمقراطيّة في إسرائيل وإلى عدم تذويت القيم الديمقراطية في هذه الثقافة، ناهيك عن العداء للفلسطينيين ولكل أنواع الأقليات سواءً المواطنين العرب في إسرائيل أو العمال الفلسطينيين من مناطق السلطة الفلسطينية أو العمال الأجانب أو اللاجئين من دول إفريقيا.[١] وكان باحثون إسرائيليون في مجال الديمقراطيّة قد حذروا من هذا التراجع في الثقافة السياسيّة الإسرائيلية على ضوء السلوك الجماعيّ خلال أوقات الطوارئ عامة ولا سيّما خلال الحرب الأخيرة على غزّة في ٢٠١٤.[٢]

سبّبت عمليات المقاومة بالشكل الجديد الذي اتخذته، سواءً من حيث شكل السلاح أو مكان تنفيذ العمليّات أو المميزات الاجتماعيّة للمنفذين وغير ذلك حالة من الهلع في الشارع الإسرائيلي. تبع ذلك على الفور ردود فعل إسرائيلية عنيفة جدًا غذّتها ودعمتها تصريحات وزراء وممثّلي جمهور لجأوا إلى تأجيج المشاعر والتحريض والدعوة الصريحة لقتل منفذي عمليات الطعن،[٣] وتشجيع الجمهور على حمل السلاح[٤] وإطلاق النار بهدف القتل[٥] (حتى في ظروف لم يكن فيها أي مبرر لإطلاق الرصاص). إضافة إلى ذلك أصدرت السلطات الإسرائيلية أعدادًا كبيرة من الأوامر الجبريّة وأوامر حظر دخول مناطق معينة أضافة إلى تعديلات في تعليمات إطلاق النار، ومنح تسهيلات في شروط الحصول على ترخيص لحمل السلاح.[٦] واقترح وزراء وأعضاء كنيست بإجراء تعديلات في القوانين تمكّن من الانتقام من منفذي العمليّات ليكونوا عبرة للآخرين، مثل تعديلات تمكّن من سحب مكانة الإقامة أو تعديل قانون يتعلّق بالقصّر بحيث يمكن محاكمتهم مثل البالغين، وغير ذلك من «قوانين الملاحقة والانتقام».

سبّبت عمليات المقاومة بالشكل الجديد الذي اتخذته، سواءً من حيث شكل السلاح أو مكان تنفيذ العمليّات أو المميزات الاجتماعيّة للمنفذين وغير ذلك حالة من الهلع في الشارع الإسرائيلي.

ولم تتأخّر وسائل الإعلام الإسرائيلية عن الانضمام إلى هذا التحريض والتحوّل إلى بوق يعمل على إشاعة رواية رسميّة تشيعها الحكومة ووزراؤها والأوساط الأمنيّة. وهبت غالبية وسائل الإعلام الإسرائيلية، على اختلاف أنواعها، نفسها لتبرير سلوك قوات الأمن أو المواطنين اليهود ضد الضالعين في عمليات المقاومة أو من يشتبه به بإمكانية القيام بعملية كهذه، حتى بعد القبض عليهم. كانت وسائل الإعلام منحازة في اختيار مصادر أخبارها لصالح المصادر الرسمية الإسرائيلية في غالبية الأحيان. من ناحية ثانية، كانت وسائل الإعلام الإسرائيلية تشكك في المعلومات التي تأتي من مصادر فلسطينية أو من مصادر صحافية عالمية. وقام بعض الصحافيين أيضًا بالتحريض ضد مجموعات وأفراد عبّروا عن آراء اعتبرت معادية للردود الإسرائيلية. ولم ينجُ أعضاء الكنيست العرب من الاصطفاف «الأمني» لوسائل الإعلام، حيثُ بدأ التحريض ضدهم وتم منعهم من التعبير عن مواقف معارضة ومستنكرة لقتل الفلسطينيين بدافع الانتقام.*

هبت غالبية وسائل الإعلام الإسرائيلية، على اختلاف أنواعها، لتبرير سلوك قوات الأمن أو المواطنين اليهود ضد من يشتبه به بإمكانية القيام بعمليات، حتى بعد القبض عليهم.

٢. تمظهرات العنصرية في إسرائيل في ٢٠١٥- انحسار في الثقافة السياسيّة السائدة

على الرغم من مساعي إسرائيل لتتحول من مجتمع مهاجرين غير متجانس، على جميع الأصعدة، إلى مجتمع عابرٍ متجانس ومتكافل اجتماعيا، حداثيّ، لا تشكل فيه الانتماءات الإثنية والدينية العصب الأهم والأبرز في صياغة هويته، مجتمع يتجاوز ظروف تشكله الأساسية كواقع استعماري مجتمع يتمتع بدرجة عالية من الاستقرار الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، كان من السهل أن نلاحظ، في هذه السنة أيضا، ان المجتمع الإسرائيلي لا يزال يواجه تبعات كونه مجتمع مهاجرين أشكناز أوروبيي النزعة، وإنه لم يصل درجة من التجانس الذي يضمن حدا أدنى من غياب مظاهر التعالي والعنصرية تجاه اليهود من أصل آسيوي وأفريقيّ، وما زالت التصدعات الاجتماعية التي ميّزت المجتمع الإسرائيلي حادة تنفجر أحيانًا لتتكشف حدة العنصرية، التي تعكس بوضوح حالة مقلقة للثقافة السياسية السائدة في إسرائيل.

لم ينجُ أعضاء الكنيست العرب من الاصطفاف "الأمني" لوسائل الإعلام.

على الرغم من الجهود المبذولة للتغلب على التصدعات بين المجموعات المختلفة ما زال هناك اتفاق واسع في الأوساط الأكاديمية (والإعلامية) في إسرائيل على دوام التصدعات الأساسية، الذي ينفجر التوتر الذي يرافقها في أحيان عديدة ليبين أننا بصدد ظاهرة عنصريّة راسخة. وسوف نتطرق في الصفحات التالية بالعرض والتحليل إلى ملابسات وأسباب الاندلاع الدوريّ لمظاهر العنصريّة.

* حول التضييق والعنصرية تجاه العرب، راجع فصل «الفلسطينيون في إسرائيل» في هذا التقرير.

٢.١ العنصرية والتمييز ضد اليهود الأثيوبيين

منذ وصولهم إلى إسـرائيل كمهاجرين جدد نسبيًا وهم يشـكلون هدفا للعداء وحتى الاحتقـار، إنهـم اليهود الأثيوبيون الذيـن واجهوا منذ وصولهم صعوبـات جمّة ولاقوا تعاملا مذلا من المجتمع والدولة في إسـرائيل، على حدّ سـواء. هاجر اليهود الأثيوبيون إلى إسـرائيل في فترتين مختلفتين: عملية موشي ٨٥-١٩٨٤ وعملية شلومو ١٩٩١. وما تزال هنالك عراقيل لتهجير ما تبقى من يهود في أثيوبيا. يعتبر المهاجرون الأثيوبيون ذوو مؤهلات متدنية وقدرات ضعيفة لا تلائم سـوق العمل الإسرائيلي مما يعرقل فرص تطور هذه الفئة الفقيرة وتقدمها. لم يشـكل الأثيوبيون تهديـدا لمكانة أي من مركبات المجتمع الإسـرائيلي القديم، ولكن هذا لم يشفع لهم، فقد واجهوا وما زالوا تعاملا مهينا،[٧] دفعهم في بعض الأحيان إلى التعبير السياسـي الجماعي عن رغبة في ترك الدولة والعودة إلى أثيوبيا. ويرجح أن السـبب الأساسـي في رفضهم، إلى حد بعيد، هو لون بشرتهم الذي عجزت التعددية الإسـرائيلية عن اسـتيعابه.[٨] لم يعترف زعماء التيـارات الدينية المتزمتة بانتمائهم للدين اليهودي حسـب المعايير الأرثوذوكسـية، وعلـى الرغم من صدور فتاوى دينيـة من مراجع فقهية أساسـية تعترف بيهوديتهم ما زال الأفـراد الأثيوبيون مطالبين أثناء وجودهم في مراكز الاستيعاب بتخطّي عملية تهويد من جديد، وذلك بضغط الأوساط الحريديّة اليهودية المتشدّدة التي تشكّك في يهوديتهم من الناحية الدينية وتعتبرها ناقصة وتحتاج إلى إثبات كما ذكرنا سالفًا.

رغم انقضاء عقود على وفود الأثيوبيين، فما زالت المدارس المختلطة التي يدرس فيها أبناؤهم تخصص لهم صفوفا خاصة لإبعادهم عن الآخرين "البيض"، وما زالوا يتعرضون لإهانات يومية على خلفية سوادهم.

خلافـا للمهاجرين الروس، الذين جاءوا إلى إسـرائيل في فترة الهجـرة الأثيوبية الثانية، يسـعى الأثيوبيون إلى الاندماج في المجتمع الإسـرائيلي ولكنهم يقصون بعيدا بسـبب لون بشرتهم، التشكيك في انتمائهم اليهودي، وضعفهم من حيث القدرات والمؤهلات التي لا تمكنهم حتى من تشكيل مجموعات ضغط سياسي واجتماعي، الأمر الذي لم يتغير إلى حد بعيد رغم انقضاء عقود على وفودهم، فما زالت المدارس المختلطة التي يدرس فيها أبناؤهم تخصص لهم صفوفا خاصة لإبعادهم عن الآخرين «البيض»، وما زالوا يتعرضون لإهانات يومية على خلفية سـوادهم. من ناحية ثانية، قامت بعض الجمعيات الأهلية التي تعمل لتحسين أوضاع اليهود الأثيوبيـين، وقد حققت بعض النجاحات في مجال القضاء على بعض الظواهر السـلبية مثل التسرب من المدارس، كما ساهمت في رفع نسبة الحصول على شهادة إنهاء المدرسة الثانوية (البجروت) في صفوفهم مقارنة بالمعدل العام في إسـرائيل وغير ذلك من أنماط السـلوك، لا سيما بين أبناء الجيل الناشئ الذين ولدوا في إسرائيل.[٩]

تم اسـتيعاب اليهود الأثيوبيين في هوامش المجتمع الإسـرائيلي ممـا ترك أثرا على شـعورهم بالانتماء إليه وبأنهم ضحايا تمييز مسـتمر. وتواصلت النظرة المتعالية إليهم

التي لم تراع مشاعرهم ما أعاق اندماجهم في مجتمع بقي غريبا عنهم. في بداية ٢٠١٥، وصلت نسبة الأثيوبيين من عدد السكان الكلي في إسرائيل إلى ١,٦٪، ووصل عددهم إلى نحو ١٣٨٢٠٠ نسمة، ٧٥٪ منهم يعيشون في إسرائيل منذ أكثر من ٢٥ سنة. ٥٢٦٠٠ منهم (نحو ٣٧٪) ولدوا في إسرائيل، وما زال هناك بعض اليهود الأثيوبيين الذين يتوافدون إلى إسرائيل ولكن بأعداد ضئيلة.[١٠] مع وصول هؤلاء إلى إسرائيل ينتقلون للعيش في مراكز استيعاب خاصة تقيمها الوكالة اليهودية، وتقدّم حكومة إسرائيل عن طريق هذه المراكز بعض الخدمات التي تهدف إلى تيسير اندماج هؤلاء المهاجرين في المجتمع الإسرائيلي، مثل بعض خدمات التربية والتعليم، وتوفير أماكن عمل، خدمات صحية ورفاه اجتماعي، إضافة إلى تسهيل حصول المهاجرين على شُقق خارج مراكز استيعاب المهاجرين.

أما عن أوضاعهم المعيشية فهناك عدد من الأبحاث التي تثبت تعرض الأثيوبيين لمعاملة عنصريّة وتمييزية تكرّس دونيتهم في المجتمع الإسرائيلي، فمثلا أبحاث كثيرة توصلت إلى نتائج تفيد بأنّ أبناء الطائفة الأثيوبية يقبعون في أدنى الدرجات على هرم الأجور في إسرائيل، أدنى من العرب ومن مجموعات أخرى تعاني من ظروف مشابهة.

في بداية ٢٠١٥، وصلت نسبة الأثيوبيين من عدد السكان الكلي في إسرائيل إلى ١,٦٪.

ويتضح من بحث اقتصادي شامل أعده د. إيرز سنيبر والبروفسور غيل إيشطاين في سنة ٢٠١٢ أنّ المستخدمين الأثيوبيين الذين يفتقدون للمهارات المهنية يتقاضون أقل الأجور في إسرائيل عامة، وهي المكانة التي عانى منها العمال العرب في إسرائيل إلى بداية هجرة الأثيوبيين في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن الماضي.[١١] كما وجد البحث أنّهم يتقاضون عند دخولهم إلى سوق العمل، أجرًا يقل بنحو ٣٠٪-٤٠٪ مقارنةً بالعرب الذين يحملون نفس المؤهلات في مجال التعليم. وبعد انقضاء ١٧ سنة تجربة في العمل تقل الفروق في الأجور، لا بل تتجاوز أجور الأثيوبيين ما يتقاضاه العمال العرب الذين يملكون نفس المهارة ونفس التجربة المهنية.

ويتضح من معطيات بحث آخر حول فروق الأجور بين الأكاديميين من طوائف مختلفة في إسرائيل، أنّ فروق الأجور باقية حتى في هذا المجال الذي من المفروض أن تتضاءل فيه الفروق. فحص هذا البحث معدل أجور الأكاديميين في إسرائيل على امتداد عقد كامل، ووجد أنّ معدل أجور الأكاديميين من اليهود المولودين في إسرائيل يفوق أجر الأكاديميين الآخرين من اليهود في جميع المجالات والمهن. معدل أجور الأكاديميين من مهاجري دول الاتحاد السوفييتي سابقًا يقترب من معدل أجور المولودين في إسرائيل، أما معدل أجور الأكاديميين من أصل أثيوبي والعرب فهو أقل بكثير، بحيث أنّ الأكاديميين من المجموعتين الأوليين يتقاضون أجرًا يزيد بنحو ٤١٪ عما يتقاضاه الأثيوبيون والعرب، في

سنة العمل الأولى، في المهن ذات الأجر المرتفع. وبعد مضي ١٠ سنوات في العمل يتواصل وجود الفروق التي تتوسّـع حتى تصل إلى ٦٦٪. أما في المهن ذات الأجر المنخفض فإنّ الفروق في البداية تقف عند ٢٠٪ وتتضاءل بعد مرور ١٠ سـنوات حتى تصل إلى ١٥٪. هذا مع العلم أن نسـبة الأكاديميين من اليهود الأثيوبيين في إسـرائيل (١٣٠-١٣٥ ألف نسمة) لا تتجاوز ٢٪، ونجد أنّ مِن بين الأكاديميين هنالك ١٠٠-١٢٠ من خريجي كليات المحاماة، في حين أنّ عدد المحامين العاملين لا يتجاوز بضع عشرات. عدد عمال الهايتك (الصناعات التكنولوجية الدقيقة)، ضئيل بالمثل ولا يزيد عن ٤٠٠ شخص.[١٢]

تماشيًا مع مقتضيات القانون، هنالك تمثيل لائق للأثيوبيين في القطاع العام، وتصل نسبتهم هناك إلى ١,٤٥، وهي نسبتهم من بين السكان جميعًا في إسرائيل.

من ناحية ثانية، وتماشـيًا مـع مقتضيات القانون، هنالك تمثيـل لائق للأثيوبيين في القطاع العام، وتصل نسـبتهم هناك إلى ١,٤٥، وهي نسـبتهم من بين السكان جميعًا في إسرائيل، ولكن قسمًا كبيرًا من هؤلاء يعمل في وزارة الصحة، في مهن متدنية القيمة والمكانـة. وبكلماتٍ أخرى فإنّ التمثيـل في القطاع العام ممكن في المهن المدرجة في قاع سلم التدريج في هذا القطاع.

ويعتقد الباحثون الذين أجروا هذا البحث أنّه من الواضح أن فروق الأجور تكشف عن تمييز على أساس الانتماء الإثني والقومي ولون البشرة، كما أنّ تواصل وجود الفروق على الرغم من مرور الستين يدل على انعدام فُرص ترقية المستخدمين من الفئات الضعيفة.[١٣]

وتدل اسـتطلاعات أجرتها وزارة الاقتصاد الإسرائيلية في صفوف المشغلين، في ٢٠١٣[١٤] على أكثر أشكال التمييز ضراوة ضد اليهود من أصل أثيوبي. فعندما يستطلع رأي المشغلين بشـأن المجموعات المفضلة للتشـغيل من بين عدة مجموعات لا تحتل الأولوية في إيجاد فرص عمل في المنظومة الرأسـمالية التي تتسم بالمنافسـة الشرسة، مثل النساء، الأشخاص الذين تزيـد أعمارهم عن ٤٥، أصحاب الحاجات الخاصة، المهاجرين من دول الاتحاد السـوفييتي سـابقًا، اليهود الحريديين، المواطنـين العرب، واليهود من أصل الأثيوبـي- جاء تدريج أبناء الأصل الأثيوبي في المكان الأخير (٥,٦٪ فقط من المشغلين صرحوا أنهم يرغبون بتشغيلهم).

أكثر من ٣٠٪ من القاصرين الذين يقضون عقاب السجن هم من الأثيوبيين

وفـي مجالات أخرى، أكثر من ٢٠٪- وبحسـب الجمعية الإسـرائيلية من أجل يهود أثيوبيـا، أكثر من ٣٠٪ مـن القاصرين الذين يقضون عقاب السـجن هم من الأثيوبيين علـى الرغم من أنّ نسـبة الأثيوبيين من السـكان عامة لا تزيد عـن ١,٦٪.[١٥] لا تقتصر هـذه الظاهرة على الأثيوبيين، وهنالك إثباتات قاطعة علـى العلاقة الوثيقة بين الأوضاع الاجتماعيـة والاقتصادية المتدنيّة التي تعيشـها فئات سـكانية معينة تعاني من الإهمال والاضطهـاد وبين انتشـار الجريمة بـكل أنواعها في صفوف هذه الفئة، ولا سـيّما بين الشـبان والفتية بينهم. فمثلا، تشـير إحصائيات الشرطة التي نشرت في شباط ٢٠١٦، أن نسبة مشاركة المواطنين العرب في إسرائيل في جميع أنواع الجرائم تزيد عن نسبتهم

من الســكان بضعفين وأكثر.[١٦] وهو ما يثبت ادعاءنا عن العلاقة بين ظروف المعيشة وبين انتشــار الجرائم. من جهة ثانية يعزو الأثيوبيون بعض هذه الإحصائيات إلى استهداف الشــرطة لهم والتعامل معهم بشــدة وقســوة، كم ذكرنا أعلاه.[١٧]ويتضح من بحث أجراه الباحثون، البروفســور غاي بن بورات ود. بيني يوفيــل من جامعة بن غوريون في النقب بشأن درجة الثقة بالشرطة في صفوف مجموعات سكانية مختلفة مثل اليهود الحريديين، المواطنين العرب الفلســطينيين في إسرائيل، اليهود من أصل أثيوبي، اليهود من مهاجري الاتحاد الســوفييتي سابقًا، ومجموعات مقارنة من اليهود الإسرائيليين القدامى [يتضح] أنّ الشــرطة لا تتمتع بالثقة ولا ســيّما بين أبناء الطائفة الأثيوبية، يليهم بفارق بســيط المواطنون العرب. ٣١٪ من الأثيوبيين و٢٩٪ من العرب لا يثقون بالشرطة، أما في صفوف اليهود الحريديين فنحو ٤٠٪ لا يثقون بالشــرطة، وحتى في صفوف مجموعة المقارنة من اليهود القدامى كانت نســبة انعدام الثقة نحو ٢٥٪. وســوف نتطرّق إلى هذا الأمر وإلى مــا تورط فيه جهاز الشــرطة من فضائح فــي باب آخر من هذا الفصــل. ٢٦,٧٪ من المســتجوبين الأثيوبيين في البحث كانوا على قناعة بأنّ التعامل الذي يتلقوه من الشرطة ســيكون أسوأ مقابل ٥٪ منهم فقط ظنوا بأنهم سيتلقون تعاملاً أفضل. وعليه فليس من المســتغرب أن يعتقد ٤٠٪ من الأثيوبيين أنّ الشــرطة تعتقل في محيطهم أشخاصًا دون أي مبرر حقيقي، مقابل ٢٠٪ من العرب و١٦٪ من الحريديين. ومن الجدير بالإشــارة أنّ الإجابة على هذا السؤال بين الجمهور العام في إسرائيل كانت بنسبة ١٧٪ فقط.

في شهر أيار من سنة ٢٠١٥، اندلعت، في صفوف اليهود من أصل أثيوبي، موجة احتجاجات صاخبة تمركزت في القدس وتل أبيب وضواحيها القريبة.

٢.٢ مظاهرات الأثيوبيين، من الساحة الخلفية إلى استحقاقات المواطنة

في شــهر أيار من ســنة ٢٠١٥، اندلعت، في صفوف اليهود من أصل أثيوبي، موجة احتجاجــات صاخبة تمركزت في القــدس وتل أبيب وضواحيهــا القريبة. حدث ذلك في أعقاب بثّ الفيلم الذي يصوّر اعتداء شــرطيين إســرائيليين على جندي من أصل أثيوبي بالضرب والإهانة دون أي ســبب ظاهر في المشــاهد المصوّرة، مما أثار اســتهجانًا في أوساط إسرائيلية كثيرة كما بيّنت وسائل الإعلام وتصريحات شخصيات رسميّة وغيرها. ولكــن الأهم مــن ذلك كان ما أدّى إليه هذا الفيلم من إشــاعة عــدد هائل من الروايات التــي أعادت إلى مركز الاهتمــام مظاهر العنصريّة والتمييز اللذيــن يعاني منهما أبناء الطائفة الأثيوبية في إســرائيل منذ عقود. وبطبيعة الحال، تلى اســتذكار مظاهر المعاناة هذه مظاهرات نظمّها شــبان أثيوبيون ومناصرون لهم من مجموعات يســاريّة هامشيّة جدًا في المجتمع الإســرائيلي.[١٨] كانت المظاهرة الأولى التي شــملتها موجة الاحتجاجات

أكثرها صخبًا وأغزرها مشـــاركة، تلتها مظاهرات أخرى لم تســـتطع الحفاظ على الزخم نفســـه.[١٩] وقد انتهت تلك الموجة بتحقيق بعض المكاســـب الهامشـــية وســـماع الكثير من الوعود الرسميّة، التي تشكّل جزءًا من آلية تهدئة باتت مألوفة في إسرائيل، وهي تتمحور حول ضرورة تقوية أواصر التضامن بين فئات المجتمع اليهودي لا سيّما في وجه أخطار داهمة من الخارج. في المقابل، هنالك مَن ظنّ أنه لم يكن هنالك سبب لاندلاع المظاهرات التـــي تحولت إلى أعمال عنف وشـــغب، علـــى الرغم من عدم نفي حقيقـــة معاناة اليهود الأثيوبيـــين من التمييز. وأضافوا أيضًا أنّ مظاهـــرة الأثيوبيين الأولى والأهم كانت فاقدة لأي أجندة اجتماعية حقيقية، وأنها تحولت إلى مظاهرة حاشـــدة وصاخبة بدل أن تبقى مظاهرة للاحتجاج على ضرب الجندي بشكلٍ عيني. وادعوا أن هنالك إسرائيليين كثيرين، غير أثيوبيين، تصرفوا على نحوٍ ســـادي وشـــجعوا الأثيوبيين على خوض تجربة مجهولة العواقب بالنسبة لهم وللمجتمع بشكلٍ عام، وذلك انطلاقًا من الكراهية التي يكنّها الجمهور للشـــرطة في إســـرائيل.[٢٠] ادعى هؤلاء أن على الأثيوبيين أن يعملوا بجدية على الاندماج في حياة المجتمع الإســـرائيلي وليس العكس.[٢١] وقد دافع هؤلاء عن الشـــرطة التي فرّقت المظاهرات بعنف بالغ قائلين إنه من الطبيعي في دولة غربية، على غرار إسرائيل، أن تقوم الشرطة بحماية الأمن والنظام ومنع الشغب.

الجيل الثاني من الأثيوبيين، جيل الشبان الذين ولدوا في إسرائيل وترعرعوا مع أبناء الأكثرية «البيضاء» التي تضطهدهم يتعاملون مع أنفسهم كمواطنين يستحقون مساواة كاملة ولا يقبلون بالاضطهاد.

ومن اللافت للانتباه أن الأثيوبيين المشاركين في المظاهرات جاءوا من تمركزاتهم السكنيّة في كل أنحاء البلاد مثل نتيفوت، وديمونا، وســـدروت، وكريات غات، وأشـــدود، والقدس، وريشون لتسيون، ونتانيا، والعفولة، ونتسيرت عيليت وغيرها. انتمت الغالبية الساحقة من هؤلاء إلى الفئة العمريّة ١٨–٣٠، وكان بعضهم يلبس الزيّ العسكريّ الإسرائيلي، وآخرون يرفعون علم إسرائيل. أغلق هؤلاء الشبان والشابات شوارع تل أبيب ووصلوا إلى ساحة رابين، وكانت جســـارتهم في رفع مطالبهم وجرأتهم في مواجهة الشرطة واضحة للعيان. وظّـــف أبناء الجيل الصاعد الذين نظموا المظاهرة الأولى شـــبكات التواصل الاجتماعي، وتداعوا إلى المشاركة خلال وقت قصير على نحو قياسيّ، وعند الحديث إلى وسائل الاعلام عن هذه الأمر قال هؤلاء إنهم أخذوا عبرة من مظاهرات الشباب خلال الفترة التي سميت «الربيع العربي».[٢٢]

تشـــير هذه المميزات وغيرها إلى أن الجيل الثاني من الأثيوبيين، جيل الشـــبان الذين ولدوا في إسرائيل وترعرعوا مع أبناء الأكثرية «البيضاء» التي تضطهدهم باتوا يتعاملون مع أنفسهم كمواطنين يستحقون مساواة كاملة ولا يقبلون بالاضطهاد والتمييز، ويعرفون أن مكانة المواطن تتيح لهم وسائل للاحتجاج والاعتراض بطرق مختلفة، وهم بدورهم لن يتورعوا عن ممارستها جميعًا وأحيانًا مع اللجوء إلى العنف، حتى أن أحد المنظمين صرّح قائلا: «لقد تظاهر والداي

احتجاجًــا على أوضاعهم ولكنهم نجحوا في إســكاتهم.[٢٣] أما نحــنُ أبناء الجيل الجديد فلن نســكت. لا مكان لمظاهرة مســالمة هادئة، فالعنف هو الوحيد القادر على تغيير شيء، وبدون العنف سوف تبقى أوضاعنا على ما هي لمدة ٣٠ سنة إضافية».[٢٤]

ويستطيع المتابع لتصريحات المشاركين في المظاهرات لوسائل الإعلام أن يلاحظ هذه الإصرار لدى أبنــاء الجيل الثاني من الأثيوبيين على أنهم مواطنون أصحاب حق، وأنهم سيأخذون حقوقهم التي تمنحها لهم المواطنة بكل الأساليب. وهم في هذا يختلفون تمامًا عن آبائهم الذين نوّتوا مشاعر الاحتقار حتى باتوا يتعاملون مع كل ما يُقدّمه لهم المجتمع الإســرائيلي كمنّة يجدر بهم أن يقبلوها ويعبّرون في المقابل عن امتنانهم، دونما احتجاج أو اعتراض أو حتى مطالبة بما يُعتبر حقًا. وعندما كانت تلحق بآبائهم إساءة في صميم ما يؤمنون به، كما كان في مسألة عدم اعتراف رجال الدين الحريديين والحاخامية العليا في إســرائيل بمكانة رجال الدين الأثيوبيــين، أو إلزام الأثيوبيين عامة بإجراءات «تهويد» جديــدة لأن «دينهــم ناقص»، كانوا يعلنون عــن رغبة في العودة إلــى أثيوبيا. والجميع يذكر المســيرة الرمزية لرجال الدين الأثيوبيين نحو مطار بن غوريون لمغادرة إســرائيل. ولا يقتصــر الاختلاف بين الجيلين على التصريحات بــل يتجاوزها إلى أنماط التصرف والاحتجاج وإلى مضامين الشــعارات التي جاءت قوية لا تناشــد وتســترعي الشفقة بل تطالب وتصرخ بصراحة ضد العنصرية وتهدد بزعزعة الاستقرار.[٢٥] وهذا هو ما يفسر أنه على الرغم من أن مظاهر العنصرية والتمييز ليست جديدة لكنها لم تصل إلى الاحتجاج الحاد كما في هذه المرة.

وكان مــن بين الشــعارات والتصريحات التي توضح ما أتينــا به أعلاه ما يلي: «كفى للعنصرية»، «شــرطي عنيف مكانه في السجن»، «عنصرية وتمييز برعاية الحكومة»، «أنا ســوداء البشرة فإذًا أنا شــفافة في نظر المجتمع»، «من غير المنطقي أنّ تعتبرني الدولة أقــل جودة من غيري» وكذلك «لم أختر أن أولد أســود اللون، ولكن هذا حق»، «منذ متى أصبح لون البشــرة جُرمًا»، «كفى لعنف الشــرطة». نحنُ لا نريد المزيد من الوعود، نحن نريد حلولاً»، «اقتلعونا مــن أثيوبيا ووعدونا بالكثير وماذا وجدنا؟ العنصرية»، «لن نهرب إلى برلين، نحنُ هنا وســوف نواجه مشــكلتنا»،[٢٦] «كنّا في الجيش، نحنُ صهيونيون ولن نصمت بعد الآن»، وغير ذلك من الشعارات.[٢٧]

وينصــب في نفس الاتجاه التصريح التالي لأحد منظمي المظاهرات في القدس، ثم في تل أبيب حيث قال إنها بمثابة «نقطة انعطاف في ســلوك الأثيوبيين، فنحن لن نكتفي بعد الآن بطــرح قضيتنا على الأجندة العامة، وشــرح الصعوبات التي نعانيها، لأنها ســوف تنســى بعد مرور بعض الوقت. وإذا لم تكن هنالك حلول لمشاكلنا فسيكون بيننا الكثيرون

ممن سيُشــمِّرون عن ســواعدهم ويحاربون مــن أجل الحل، وأضاف: لقــد ألقوا بنا إلى الساحة الخلفية للمجتمع الإسرائيلي، استمر ذلك ٣٠ عامًا، ولن نوافق على ذلك بعد اليوم.

تحدث الكثير من المتظاهرين عن اضطهاد الشرطة والمجتمع عامة لهم، ودمغهم المسبق بدمغة اجتماعية سلبية وتوجيه الشتائم والإهانات، وممارسة العنف ضدهم دون أي داعٍ لذلك مؤكدين على أن قصة التصادُم مع سلطات الدولة ومؤسساتها ومع الهيئات القانونية أصبحت المميز الأبرز للجيل الذي ولد وترعرع وأُهمل في إسرائيل. وكان بين المتظاهرين من اســتصعب تصديق حقيقة أنّ الشــرطة تطلق عليهم قنابل الغاز والصوت، وقد قالت إحدى المتظاهرات «لا أشعر بالخوف فقط بل أشعر بالخيانة»، وذلك كما يبدو من إيمانها بمواطنتهــا والحماية التي كان من المفروض أن تضمنه لها، ولكن مكانتها هذه لم تصمد في وجه الشــرطة المتهمة بعنفها ضــد الأثيوبيين وانعدام الثقة من طرفهم بالشــرطة.[٢٨] وعليه، فمن بين المسببات المباشرة لاحتجاج الأثيوبيين كان تعامُل الشرطة معهم منذ أمد طويل،[٢٩] ولكن الأســباب الحقيقية تتسع لتشمل كل أشكال التمييز والعنصرية، والصرخة التي أســمعوها في مظاهراتهم في تل أبيب والقدس وغيرها كانت صرخة تعود أسبابها إلى الشعور بالاضطهاد والإحباط اللذين تشكلا عبر فترة زمنية طويلة نتيجة أسباب كثيرة منها الاقتصادية ومنها نظرة المجتمع الإسرائيلي إليهم.

وصلت المظاهر العنصرية العلنية، حتى في وسائل الإعلام الجماهيرية، إلى أوجها في فيلم دعاية إعلامية قصيرة (كليب إعلاني تلفزيوني)، انتجته مجموعة استثمارية تحمل الاسم «بإموناه».

هذه بعض مظاهر العنصرية ضد الأثيوبيين في إسرائيل، وهي تعكس حالة مجموعات أخرى مــن المواطنين وغيرهم مثل العــرب، اليهود الحريديين والعمــال الأجانب وطالبي اللجوء،[٣٠] وكنا قد تطرّقنا بتوسّع وإسهاب إلى ظروف حياتهم في تقارير مدار الإستراتيجية السابقة.

٢.٣ مظاهر عنصريّة أخرى ضد اليهود الشرقيين والعرب

تطرقنا في الباب الســابق مــن هذا الفصل إلى أوضاع اليهــود الأثيوبيين بعد عقود على هجرتهم إلى إســرائيل، وبطبيعة الحال تناولنا العنصرية التي يتعرضون لها من قبل المجتمع الإســرائيلي. ولكن العنصرية في هذا المجتمع لا تقتصر عليهم، كما ســنرى في الصفحــات التالية. وكانت موجات من العنصرية قد ثــارت في أحيان مختلفة خلال هذه السنة، إذ حركّت الانتخابات البرلمانية ونتائجها نزعات عنصرية من أطراف مختلفة تجاه نفــس الضحايا، وهكذا حدث مع أحداث أخــرى. وقد وصلت المظاهر العنصرية العلنية، حتى في وســائل الإعــلام الجماهيرية، إلى أوجها في فيلم دعايــة إعلامية قصير (كليب إعلاني تلفزيوني)، انتجته مجموعة اســتثمارية تحمل الاســم «بإموناه» كانت قد فازت

في مناقصة لدائرة أراضي إسـرائيل، بمساحات واسعة من الأراضي في منطقة النقب. خصصـت هذه الأراضـي التي أعلنت للبيع في المناقصة لبناء تجمعات سـكنيّة مختلفة ضمن المساعي الحثيثة التي تُبذل في إسرائيل لتخفيض أسعار الشقق السكنيّة، وقد بدأ مشروع نقل أرضٍ تستحوذ عليها دائرة أراضي إسرائيل إلى مستثمرين في أعقاب موجة الاحتجاج الشعبي التي انطلقت في سنة ٢٠١١ .[٣١]

أثـار الفيلـم الدعائي المذكور احتجـاج أطراف مختلفـة بدءًا من بعـض الوزراء[٣٢] والمؤسسات الرسـمية وانتهاء بحركات احتجاج شعبية غير منظمة، كما يجري عادةً في مثل هذه الحالات.[٣٣]

كان واضحًـا أنّ مضمون الفيلم عنصري موجه ضـد بعض المجموعات اليهودية مثل اليهود الشرقيين في الأساس، ويهدف إلى إقصائهم عن التجمعات السكنيّة المراد إقامتها علـى هذه الأراضـي. وليس هذا الأمر بجديد، حيثُ أنّ لجان القبول التي أُقر قيامها قبل سـنوات للنظر في طلب المتوجهين للسـكن في البلدات الجديدة أقيمـت، في حينه لهذا الغرض تحديدًا،[٣٤] ولكن ضحاياها الأساسيين كانوا المواطنين العرب، الذين كانت تدفعهم الضائقات السكنية في بلداتهم إلى محاولة إيجاد حلول في أحياء سكنية جديدة تقام في ضواحـي المدن القريبة، أو في بلدات جديـدة بالكامل تقام في غالب الأحيان على أرضٍ تُصادَر من سكان القرى العربيّة.

كان واضحًا أنّ مضمون الفيلم عنـصري مـوجـه ضـد بعـض المجموعات اليهودية مثل اليهود الشرقيين في الأساس.

لـم يتورَّع منتجو هذا الفيلم عن اللجوء إلى جميـع المقولات العنصرية وإلى أبرز الآراء المسـبقة، المألوفة في إسرائيل، في ما يتعلّق باليهود الشرقيين، حيثصُوِّر الشرقي إنسانًا متخلفًا في سـلوكه وفي العادات التي يمارسـها، لا يحترم خصوصية الغير، يدخُل بيوت جيرانه دون إذن وفي أوقات غير مريحة، بشـع، ألفاظه سوقية، وهو يشكّل تهديدًا لأسلوب الحياة الغربي الذي يتبناه الأشكنازيون. كذلك وصفه الفيلم بأنه يجهل بعض الرموز الدينية للإشـارة إلى كونه غير متديِّن، وذلك لأنّ القائمين على مجموعة «بإمونا» المذكورة مقربون من تيار الصهيونية المتدينة، أمثال حزب الوزير بينيت (البيت الوطني– بايت لئومي).[٣٥]

لـم يكن مفاجئًا لأحد من الأوسـاط المعنية بالأمر أن يكـون التيار الصهيوني المتدين أو أنصاره أو المحسـوبون عليه وراء تفوهات ومسـلكيات عنصرية من هذا النوع، ولعل الأشـخاص الذين كانوا على علاقة بالتيار ومؤسسـاته السياسية والتعليميّة خير شاهد على ما يدور فيه من استهتار بثقافة اليهود الشرقيين والنظر إليهم نظرة دونية واعتبارهم بحاجة إلى تثقيف وتعليم ينقلهم من التخلف إلى التقدّم والتطوُّر.[٣٦] في هذا السياق، قال الشـاعر شـلومي حاتوكا، وهو ناشط اجتماعي شـرقي درس في مؤسسات الصهيونية المتدينة، أنّ الهدف من وراء هذا الفيلم الدعائي هو إقصاء الشـرقيين والحفاظ على نقاء

أشكنازي في التجمعات السكنية التي تقيمها «بإموناه». وأضاف، وهو يمثّل آراء الكثيرين من الشرقيين في المجتمع الإسرائيلي، أنّ مظاهر العنصرية ضد الشرقيين بتكرار ما يقال عنهم وفقًا للآراء المسبقة ليس أمرًا جديدًا، كما أنه ليسَ حكرًا على التيار الصهيوني[٣٧] المتدين الذي يتسم بأشكنازيته، بل هو قائم وموجود في الكثير من الأفلام الأخرى والدعايات التي ينتجها يهود أشكنازيون علمانيون في إسرائيل، وهذا يكشف الوجه الحقيقي للمجتمع الإسرائيلي ومظاهر العنصرية فيه التي لا تقتصر على الصهيونية المتدنية وإنما تنتشر أيضًا في صفوف اليهود المتزمتين دينيًا (الحريديين) والعلمانيين اليهود، على حدٍ سواء.

وبطبيعة الحال، لم يتركز النقاش الحاد الذي أدى إليه مضمون فيلم مجموعة «بامونا» في الصعيد الرمزي الثقافي للتعامل المحتقر لليهود الشرقيين، وإنما انتقل حالاً إلى حقيقة أنّ العنصرية، في إسرائيل وغيرها، سواء ضد العرب أو ضد مجموعات يهودية مستضعفة، تظهر جليّة في مجال «تمثيل» الأشكنازيين الأكثر سطوة وقدرة للمستضعفين على اختلافهم. ولكن الأهم والأبعد أثرًا هو انعكاس العنصرية في توزيع الموارد المادية الذي يحافظ على الوضع القائم. وليس التمركز في الجانب الرمزي للعنصرية سوى ذر رماد في العيون حتى لا يتكشف التمييز في توزيع الخير العام المادي.[٣٨]

تطرأ أحداث سنويا تكشِف الستار عن جذوة عنصرية مشتعلة بهدوء داخل المجتمع الإسرائيلي رغم مرور نحو سبعة عقود على قيام إسرائيل ومحاولات خلق حالة من الانسجام في مجتمعها.

من نافل القول، أنّ العنصرية في إسرائيل، هي ظاهرة قديمة متواصلة، لها أسباب عديدة ثقافية ودينية واجتماعية، لسنا بصدد بحثها وتحليلها في هذا الفصل، فقد كتبت عنها مئات الكتب وما زال باحثون وباحثات كثر مشغولين بإلقاء الضوء على أسبابها وآثارها وتكرار تجسدها في المجتمع الإسرائيلي.

ليس هنالك جديد بالنسبة لحدوث الكثير من تجليات العنصرية على نحو يومي، وقد يكون المختلف بين فترة وأخرى هو الظروف العينية التي تظهر فيها مظاهر العنصرية في كل فترة واختلاف ضحايا هذه المظاهر بين مرة وأخرى، وهي أمور تحدِّد حدة العنصرية وعنفها ومستوياتها وآثارها الخ، فمظاهر العنصرية ضد العرب تحديدًا في فترات التوتر الأمني تكون حادة عنيفة، وذات آثار واسعة سواءً على الصعيد الرمزي أو على الصعيد الاقتصادي للحياة اليومية، كما يفهم من خلال الدعوات للمقاطعة الاقتصادية للعرب وفصل العمال العرب وما إلى ذلك.

ليس كذلك الأمر في حالة مظاهر العنصرية التي تميِّز فئة سكانية يهودية ضد غيرها من الفئات اليهوديّة، مع العلم أنّ مظاهر العنصرية حتى داخل المجتمع الإسرائيلي نفسه تختلف في حدَّتِها بشكلٍ جدي مع حدة الفوارق بين الفئة الأقوى التي تمارس العنصرية وبين الفئة الأضعف. فمظاهر العنصرية ضد الأثيوبيين اليهود في المجتمع الإسرائيلي

أكثر إهانةً وإقصاءً منها ضد اليهود من أصل روســـي أو حتى شرقي. لتوضيح جزء من هــذه الادعاءات التي تحتكم إلى منطق عام وبســـيط، لا يقتصر على مجتمع دون غيره، يمكن الاطلاع على تقرير الائتلاف لمناهضة العنصرية في إســـرائيل، وإجراء مقارنة بين تقريرين ســـنويين أو أكثــر للتأكد من أنّ مظاهر العنصرية في إســـرائيل تزداد باطراد، ويلاحظ ذلك خلال فترات التوتر الأمني.[٣٩]

ويرصد التقرير الأخير للائتلاف لمناهضة العنصرية ارتفاعًا جديًا في مظاهر العنصرية في إســـرائيل،[٤٠] إذ يتحدث عن ٢٣٧ حالة ســـلوك عنصري، علـــى اختلاف هذه الحالات حســـب تعريفات القائمين على التقرير. وكما هو متوقـــع كان من بين هذه الحالات ١٩٢ ســـلوكا عنصريا وُجِّه ضـــد العرب. ولن أتطرّق بالتفصيل إلى حالات الســـلوك العنصريّ الموجّه ضد العرب هنا لأنها ســـتُرصد في الفصل «الفلســـطينيّون في إسرائيل» في هذا التقريـــر. مـــع ذلك يجب أن نذكر، في هذا الســـياق، أن التقرير المذكور يخطئ رســـالته وأهدافه إذ ينبّه إلى أن غالبة الأحداث التي تتسم بمظاهر عنصرية حدثت خلال العدوان الإســـرائيلي على غزة في صيف ٢٠١٤، وبهذا يُساهم، كما وسائل الإعلام والسياسيين، في تكريس الادعاء بأنّ حالة الحرب تخلق مناخًا استثنائيًا وأنّ العنصرية ليست راسخة تمامًا في الثقافة السياسية في إسرائيل. وحتى لو كان الأمر كذلك، ألا يشكل هذا الادعاء على ضوء وتيرة تكرار الحروب التي نشـــهدها (مرة في الســـنة أو في السنتين في العقد الأخير)، إلى شـــرعنة مظاهر العنصرية أو في أحسن الأحوال التعامل معها باستخفاف من شأنه أن يقوّيها.[٤١]

أما العنصرية ضد الفئات السكانيّة الأخرى، عدا العرب، فقد كانت هذه حاضرة طيلة الوقت كما هو متوقع وكما ذكرنا أعلاه، لكنها لا تشهد قفزات كبيرة، سواءً في التزايد أو النقصان، بل تخضع لتحولات معتدلة مرهونة ببعض الأحداث أو الفترات مثل الانتخابات البرلمانية أو ما إلى ذلك من فترات الاصطفاف السياســـي أو الاجتماعي. ويُســـتدل من تقريـــر مناهضة العنصرية أنّ قرابة ٤٠ من حالات الســـلوك العنصـــري في الفترة التي رصدها التقرير اســـتهدفت إما عمالا ومهاجرين أجانب وإما مواطنين يهودا إسرائيليين من الشـــرقيين والأثيوبيين في الأســـاس. (عن معاناة الأثيوبيين في باب خاص من هذا التقرير). أما عن توزيع هذه الحالات، فقد وصل عدد حالات الســـلوكيات العنصرية ضد اليهود الشـــرقيين إلى ٨ حالات نســـب أغلبها إلى شخصيات منتخبة أو مؤثِرة في الرأي العام (كتاب، فنانون، صحافيون). ووصل عدد الحالات التي مســـت باللاجئين ومهاجري العمل ٩ حالات، وهو عدد منخفض جدًا مقارنةً بما سُـــجِل في ســـنوات سابقة (٣٩ حالة في ٢٠١٤، و١٢٩ حالة في ٢٠١٣)، ربما لأنّ السلطات الإسرائيلية تمكنت من وقف تدفُق

اللاجئين عبر الحدود مع مصر عن طريق إقامة الجدران وحبس الوافدين الجُدد والقدامى وعزلِهم.

أمـــا الأحداث العنصرية ضد الأثيوبيين فقد وَصَلَ عددهـــا إلى ٢٠ حالة ارتكبتها، في المقام الأول أذرع الأمن، ومن ثم جاءت مظاهر العنصرية مِن قِبل المواطنين ثم قادة الرأي العام.

وكما في كل ســـنة فإنّ هنالك أحداثا تكشِـــف الســـتار عن جذوة عنصرية مشـــتعلة بهدوء داخل المجتمع الإســـرائيلي وهي من العوامل الأساســـية التـــي تُحافِظ على دوام هذه التصدعات رغم مرور نحو ســـبعة عقود على قيام إســـرائيل ومحاولات خلق حالة من الانســـجام في مجتمعها. في ٢٠١٥ تعلّقت الأحداث التي أعـــادت العلاقات المتوترة بين الفئات المختلفة إلى الســـطح بمجريات الانتخابات واســـتغلال التعابير العنصرية لتجنيد واستنفار فئات معينة وبعدها بتعبير أنصار المعسكر الخاسِر عن امتعاضهم من نتائجها.

أبرز هذه الأحداث كان محاولة السياســـي العائد بعد غياب إلى واجهة المسرح، أرييه درعي، ليترأس حركة شـــاس بعد صراع مع القائد المتنحي اضطرارًا إيلي يشـــاي، وبعد وفاة الزعيم الروحي وملهم حركة شاس الحاخام عوباديا يوسف. كان الطبيعي أن يحاول درعي اللجوء إلى كل الأساليب الممكنة لاستعادة ما خسِرته الحركة في سنواتها الأخيرة، لا ســـيما في صفوف اليهود الشـــرقيين الذين تتنافس على كسب أصواتهم كل الأحزاب الفاعلة، وكلٌ بطريقتها. أما طريقة درعي فقد كانت إثارة مشـــاعر اليهود الشـــرقيين ضد القـــوى الأخرى التي حكمت الدولة حتـــى اليوم، ومن خلال التركيز على تماثل هذه القوى مع اليهود الأشكناز الغربيين، الذين تعاملوا باحتقار مع الثقافة الشرقية، ولم يلتفتوا إلى مصالح الشـــرقيين ولم يلبوا حاجاتهم اليومية. منـــذ الايام الأولى لمعركة الانتخابات أخذ درعي يوظِف مصطلحات من شـــأنها أن تعبِّر عن الواقع بشـــكلٍ يثير مشـــاعر الشرقيين الذين أراد أن يستعيد دعمهم، ولكن ليس بالكثير من النجاح، تحدث درعي عن «الشفافين» الذين لم يحصلوا على ما يستحقونه خلال ٦٧ سنة من عمر إسرائيل، ولم يكن لهم تمثيل ملائم يتناسب مع وزنهم النسبي من السكان، لا في مؤسسات الدولة ولا في كل ما يتعلق برموزها وبأوســـاط صنع القرار في كافة مجالات الحياة. تدلُ كل الإحصائيات الرسمية المتوفِـــرة عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للفئات الســـكانيّة المختلفة في إســـرائيل فعلاً على فجوات واســـعة بين هذه الفئات لصالح اليهود الأشكناز مقارنةً بالعرب واليهود الأثيوبيين ثم اليهود الشرقيين، ولذلك فإنّ لادعاءات درعي خلال الانتخابات بعض الدعائم الحقيقيـــة، ولكن المتابع لأســـلوبه يرى أنّ هدفه لم يكن الدفاع عـــن الفئات الفقيرة ومنها الشرقيين مثلما كان يهدف إلى إثارة مشاعِر الشرقيين لكسبِ تأييدهِم.

ففي أحد أفلام الدعاية الانتخابية اعتبر درعي الشـرقيين في إسـرائيل أشـد الفئات فقـرًا وضعفًا وأكثرها عرضة للقمع والاضطهاد، ولم يذكر اليهود الأثيوبيين أو المهاجرين من الدول الشـرقية سـابقًا أو المهاجرين الأفارقة أو مهاجري العمـل ولو بكلمة واحدة، ولا نضيف جديدًا إذا قلنا أنّه لم يذكر المواطنين العرب في إسـرائيل، فهؤلاء لا يُحسَـب حسـابهم عندما يتحدث درعي إلى المجتمع الإسرائيلي وإلى الشرقيين والحريديين. كان هذا الفيلم الدعائي الأول بمثابة هجوم كاسـح ضد الأشـكنازيين الذين اعتبرهم درعي قامعي الشرقيين، وصوَّرهم باذخين يحكمون البلاد ويتمتعون بخيرها على حساب اليهود الشـرقيين. تحدث درعي عن ٩٠٠ ألف طفل جائـع في بلدات التطوير اليهودية ولم يذكر الأطفـال العرب الذين تدل إحصائيات دائرة الإحصاء الرسـميّة في إسـرائيل، وتقارير الفقر على اختلافها (تقرير التأمين الوطني والتقرير البديل عن الفقر– جمعية لتيت) أنهم وعائلاتهم أشد الأوساط فقرًا.

إضافةً إلى الأطفال اليهود الشـرقيين، تحدث عن سائقي التاكسيات من الشرقيين ثم العمال والمسنين الشرقيين وربات البيوت الشرقيات فقط. ولم يذكر الآخرين كما ذكرنا. أما مضطهدو هؤلاء فهو نزلاء المقاهي والفنادق والمطاعم من اليهود الأشكناز الذين يستقلون سيارات فاخرة ويسافرون في مقاعد الدرجة الأولى في الطائرات. وأضاف درعي أنه في حين يجلس أشـكنازيون على كرسي القضاء نجد السجون مليئة بأبناء الشرقيين، الذين اضطُر أهلهم إلى تبديل أسـمائهم عندما وصلوا إلى إسرائيل لأنّ الأشكنازيين جعلوهم يخجلون بهذه الأسماء التي تذكِّر بأسماء العرب، وبالطبع حرّض درعي ضد الكيبوتسات التي تذكر باليهود الأشـكنازيين، وفي النهاية ضد مؤسسـات الدولة التي ترتبط في ذهن كل يهودي شرقي بمهاجرين من روسيا وأوكرانيا وغيرهم من اليهود الغربيين.[٤٢]

أثارت محاولات درعي المتتالية لإثارة مشـاعر الشرقيين واستحضار الخطاب القديم عن مظاهر العنصرية ضد الشـرقيين، ردود فعل غاضبة جـدًا من طرف قيادات الأحزاب التي تتنافس على الاصوات، وهي في غالبيتها من اليهود الأشـكناز الذين يُبرؤن أنفسهم تمامًا من هذه التهمة. وكان بين المنتقدين لدرعي وسـائل الإعلام على اختلافها وقيادات جمعيات المجتمع المدني وكثيرون من فئات اليسار التي ذكرت درعي بأنه لم يقدّم شيئًا للفقراء والفئات الضعيفة التي يدّعي أنه يريد أن يمثلها عندما كان وزيرًا له ثقله في الحكومات المتتالية التي كان عضوًا فيها في الثمانينيات. ورأى كثيرون لا سـيما من الصحافيين أنّ درعي مسـتعد لإذكاء النيران بين الفئات السـكانية المختلفة في إسرائيل لنيل مآربه والعودة إلى الحكومة، وقد واصل درعي وأنصاره استعمال هذا الخطاب العنصري حتى الانتخابات.

من الجهة المعاكسة، جاء خطاب الفنان المقرّب من قوى اليسار الصهيوني يئير غربوز

أثارت محاولات درعي المتتالية لإثـارة مـشـاعـر الـشـرقـيـين واستحضار الخطاب القديم عن مظاهر العنصرية ضد الشرقيين، ردود فعل غاضبة جدًا من طرف قـيـادات الأحـزاب التي تتنافس على الأصوات.

في السابع من آذار ٢٠١٥، أي قبل يوم الانتخابات بعشرة أيام ليشكّل ردًا عنصريًا متعاليًا على اليهود الشرقيين والمتدينين، ويذكر بتفوهات عنصرية لفنانين خلال السبعينيات والثمانينيات، يظن البعض أنها كانت سببًا في عداء الشرقيين لأحزاب اليهود الغربيين مثل حزب العمل.٤٣ جاءت تصريحات غربوز في مهرجان شعبي نظمته قوى معارضة لنتنياهو والليكود عشية الانتخابات للكنيست الأخيرة، في تل أبيب. كان بين المتحدثين في هذا المهرجان شخصيات سياسيّة وأمنية مهمة وفنانون إضافة إلى بعض الفقرات الموسيقية ولترفيهية. ولكن الخطاب الذي أثارَ ضجة إعلامية هائلة وجرّ وراءه العديد من ردود الفعل الغاضبة من جميع أطياف المشهد السياسي والاجتماعي في إسرائيل فقد كان خطاب غربوز الذي اتهم بالعنصرية ضد اليهود الشرقيين والمتدينين المتزمتين، كما كان قويًا في معاداته للمستوطنين في الضفة الغربية ولأوساط اليمين المتديّن التي يأتون منها، وهي الأوساط التي خرج منها قاتل رابين، على حد قوله. حذّر غربوز في خطابه من أنّ الأوساط الإسرائيلية اليهودية التي ترتكب أبشع الجرائم والاعتداءات من قتل رابين انتهاءً بالاعتداءات على أفراد عرب في الشارع ليسوا مجرد حفنة صغيرة هنا وأخرى هناك، بل أكثر وأخطر من ذلك بكثير.

وأضاف غربوز أنّ اتباع كهانا ليسوا حفنة، وأنّ العنصرية ليست ظاهرة عابرة، والفاسدين الباذخين ليسوا حفنة كما يعتقد البعض، ومن يعتقد أنّ الديمقراطية هي نوع من الاستبداد بالأقليات والشرائح الضعيفة ليسوا حفنة صغيرة، وأولئك الذين يقبلون الأحجبة والتعاويذ ليسوا حفنة، بل عصابة باتت تسيطر على الدولة وغير ذلك، من الادعاءات التي ذهبت في نفس الاتجاه. أثارت هذه الجملة الأخيرة التي اعتبرتها وسائل الإعلام موجهة، في المقام الأول، إلى اليهود الشرقيين المتدينين غضب أوساط شرقية كثيرة إضافة إلى المتدينين الشرقيين (أتباع حزب شاس)، كما أثارت غضب أحزاب اليسار الصهيوني التي سارعت لتستنكر الخطاب زاعمةً أنه لا يمثلها،[٤٤] حتى لا تخسر أصواتًا وتتعرّض لأقسى الهجمات مِن قِبل أحزاب اليمين التي رأت في حزب شاس حليفًا ممكنًا، وهو ما كان.[٤٥]

في المقابل، وقفَ بعض أصدقاء غربوز من الشعراء والمثقفين إلى جانبه، مدافعين عنه، مثل صديقه المسرحي يهوشوع سوبول الذي وصف المتدينين بتهكّم وسخرية بأنهم «يقبلون المزوزة»، وهي قطعة معدنية فارغة من الداخل تدخُل إليها ورقة ملفوفة عليها تهاليل وصلوات من التوراة، وتوضع قرب مداخل البيوت والعمارات، يقبلونها عند الدخول والخروج. أقوال سوبول هذه زادت الطين بلّة. وانضم إلى سوبول مثقفون وأكاديميون كثيرون مدافعين عن غربوز الذي أصرّ على موقفه، ولكنه صرّح أنه لم قصد الإساءة إلى

الشــرقيين أو غيرهم، بل حذّر من الخطورة السياسية للأوساط التي سيطرت على الدولة لمآربها.[٤٦]

وفــي محاولة لفحص تأثير الخطاب على نتائج الانتخابات، تطرق عدد من الأكاديميين والمحللين إلى مجمل الأســباب التي من شــأنها أن تفسِّــر مظاهر العنصرية عامةً، في إســرائيل، منذ قيامها وحتى اليــوم. البعض اعتبر الخطاب يعكــس صراعًا بين الفئات الضعيفة أو المستضعفة في إسرائيل وبين النخب التي يمثلها غربوز، وهي نخب أشكنازية تنظر إلى الشــرقيين نظرة استشــراقية متعالية، تشــبه إلى حدٍ بعيد النظرة التي كانت سائدة في مؤسسات السلطة وبين النخب منذ قيام إسرائيل.[٤٧]

واعتبر الباحث في مجال الأديان د. تومر فرســيكو أنّ جذور خطب غربوز راسية في النزعة المركزية الأوروبية التي تميِّزه، كما تميِّز الجمهور الذي ينتمي إليه ويمثله، ويسميهم فرســيكو أتباع «براديغم التقــدم»، الذين يعتقدون أنّ علمنة المجتمــع تأتي مترافقة مع ارتفاع منسوب الثقافة، كما حدث في أوروبا في القرون الأخيرة، وهو اعتقاد مركزي في المركزية الأوروبية، لا أساس له في الواقع، حسب رأيه.[٤٨]

اعتبر الباحث في مجال الأديان د. تومر فرسيكو أنّ جذور خطب «غربوز» راسية في النزعة المركزية الأوروبية التي تميِّزه، كما تميِّز الجمهور الذي ينتمي إليه ويمثله.

واعتبر فريسكو أنّ الخطاب دليل على أنّ خطاب الهويّة هو الذي قرّر نتائج الانتخابات الأخيرة مدعيًا أن عجز اليســار الإســرائيلي عــن التواصل مع هويتــه اليهوديّة هو ما يمنع عودته إلى الحكم.[٤٩] واســتحضر محللون آخرون تحليل عالم الاجتماعي الإسرائيلي الراحل باروخ كيمرلينغ الذي أطلق تســمية «أسباط» على الفئات السكانية المختلفة التي تركــب المجتمع الإســرائيلي. قال هــؤلاء أنّ خطاب غربوز هو مثال بارز وتجســيد بارز للمجموعة التي ســماها كيمرلينغ بالعبرية «أحوســاليم»، وهو اســم مركب من الأحرف الأولى من مميزات هذه المجموعة (أشكنازيين علمانيين، قدامى واشتراكيين وطنيين).[٥٠]

تمحورت كل التحليلات الأخرى للخطاب وآثاره حول النقاط المذكورة نفســها، وأكدت على موضوعة خطاب الهوية ودوره في بلورة المشــهد السياســي الإسرائيلي في الماضي والحاضر،[٥١] وعلى نزعة المركزية الأوروبية والاستشراق، والنظرة الاستعلائية.

وفي أعقاب وضوح نتائج الانتخابات لصالح الليكود، سمعت أصوات من طرف بعض الشــخصيات المؤيدة للمعسكر الصهيوني (برئاســة إسحق هيرتسوغ) وساد شعور بين فئات واسعة من مصوتي هذ المعسكر تحمل اليهود الشرقيين، ولا سيما في مدن التطوير في النقب، مسؤولية عودة نتنياهو إلى السلطة،[٥٢] مع الإشارة إلى التصرف القطيعي غير العقلاني في أنماط تصويت هؤلاء. كان من المعبرين عن هذا اللوم البروفســور في كلية أريئيل أمير حتصروني الذي اتهم الشــرقيين بنتائج الانتخابات، وأضاف أنه يرى نفسه أذكى وأكثر كفاءة من البقاء في هذه البلاد التي يتحكم الشرقيون بحاضرها ومستقبلها.

تعــرّض حتصروني إلى نقد حاد على تفوهاته التي اعتبرت عنصرية حتى أنّ أحد مذيعي البرامج الصباحية في القناة الثانية للتلفزيون طرده من الاســتوديو في بث حي ومباشر، واتهمه بتبني معتقدات فاشية.[٥٣]

ويذكــر أنّ كلية أريئيل طردت حتصروني من عمله بســبب آرائه، ما دفعه إلى مغادرة إسرائيل للعمل في الدنمارك، ثم انتقل للعيش في الصين.

ويبــدو أنّ صدمة اليســار الصهيونــي كانت كبيرة من جراء نتائــج الانتخابات حتى تمكنت من الايقاع بالصحافي الشــهير صاحب التجربة والباع الطويل في فهم المجتمع الإســرائيلي جدعون ليفي، فخرج هذا بمقال يصل فيه إلى الاســتنتاج بأنه ما عاد هناك ما يمكن عمله سوى تغيير الشعب في إسرائيل، وأنّ الانتخابات يجب أن تجري لانتخاب شعب جديد وليس لانتخاب قيادة لإسرائيل. لم يحتوِ مقال ليفي على تصريحات عنصرية ضد الشــرقيين والمتدينين، ولكنه لم يكن من الصعب على البعض أن يربطوا بين ادعاءاته هــذه وبين الأغلبية من الشــرقيين والفقراء الذين صوتوا لحزب الليكــود، وأن يعزوا إليه مقاصد ربما لم يقصدها.[٥٤]

يــبــدو أنّ صــدمــة الــيــسار الصهيوني كــانــت كــبــيرة من نتائج الانتخابات حتى تمكنت من الايقاع بالصحافي الشهير صاحب التجربة والباع الطويل في فهم المجتمع الإسرائيلي جدعون ليفي، فخرج هذا بمقال يصل فيه إلى الاستنتاج بأنه ما عاد هناك ما يمكن عمله سوى تغيير الشعب في إسرائيل.

إضافة إلى الشخصيات السياســية والأكاديمية والإعلامية التي لامت الفئات الفقيرة على تصويتها وكالت لها شتى الاتهامات امتلأت صفحات الانترنت ونقاشات الشبكات الاجتماعية بتصريحات مثل «الشــرقيون يســرقون لنا الدولــة»، أو «لن نتبرع لكم بعــد اليوم في القرى الفقيرة»، أو «الشعب مريض بمرض «ماحل»، (أي رمز البطاقة الانتخابية لحزب الليكود).[٥٥]

تُضــاف إلى القضايــا ذات الطابع العنصري خلال فترة الانتخابات وما ســبقها من تحضيــرات، قضية إيلي أوحانا وحــزب البيت اليهودي، حيث أثارت ضجة إعلامية كبيرة وانعكست في نظر الشارع الإسرائيلي كقضايا تحركها دوافع عنصرية، قضية تخصيص الموقع العاشر في قائمة البيت اليهودي للاعب كرة القدم السابق إيلي أوحانا الذي ينحدر من أصول شــرقية، ثم إلغاء إدراجه في القائمة بعــد موجة عارمة من الاعتراضات التي تناولت استحقاقه لأن يتبوأ منصب عضو كنيست. حدث هذا في أوج التحضيرات التمهيدية في الأحزاب المختلفة لترتيب قوائمها لانتخابات الكنيســت، وتحديدًا في ٢٠١٥/١/٢٥، وقد فاجأت خطوة نفتالي بينيت هذه الشــارع الإسرائيلي عامة وأعضاء حزبه، ولا سيّما المرشحين للمقاعد المضمونة في القائمة، حيثُ أن تخصيص موقع مضمون لأوحانا سوف يأتي على حساب بعضهم.

كانت نوايا بينيت من وراء هذه الخطوة المفاجئة هو إضافة شخصية محافظة دينيًا من أصول شرقية، شقّت طريقها غلى النجاح من واقع مرير يلفه الفقر والحاجة.[٥٦] وليس في هذا أي جديد فســعي الأحزاب المختلفة للحصول على أكبر أعداد من المصوتين، يدفعها

إلى أخذ مسألة انتماءات المرشحين بعين الاعتبار. ولكن اعتراضات شخصيات بارزة في الحزب وفي وسائل الإعلام على تخصيص مكان مضمون لأوحانا فاحت منها رائحة عنصرية بسبب كونه شرقيًا وبذلك ساهم حزب البيت اليهودي بقسطه في المناخ الذي ساد حينها. وقد حاول بينيت أن يتفادى آثار هذه القضية فزار عددًا من المدن التي يقطنها اليهود الشرقيون مثل ديمونا وغيرها. ولولا انسحاب أوحانا لكانت هذه القضية مثل سابقاتها التي أدرجناها أعلاه سببا في زيادة الشعور بوجود عنصرية بيضاء في إسرائيل.

أما التصريحات العنصرية ضد السياسيين العرب من طرف شخصيات يمينيّة عُرفت بتفوهات منفلتة فهي كثيرة جدًا، لا مجال لحصرِها وتعدادها في هذا التقارير. ولعلّ أهم هذه الشخصيات هي: إيفيت ليبرمان،[٥٧] ميري ريغف (وزير الثقافة) ، وداني دانون (ممثل إسرائيل في الأمم المتحدة) وغيرها، وهي مفصلة في الجزء المخصص للفلسطينيين في إسرائيل في هذا التقرير.

وتيرة كشف قضايا الفساد السلطوي والإخلال بالثقة وإساءة أصحاب المناصب الرسمية لاستعمال صلاحياتهم تزداد سنة بعد سنة

٣ . الفساد السلطوي والإداري وجه آخر لتهافت الثقافة السياسيّة

لا يشكِّل الفساد في السلطة ظاهرة جديدة في إسرائيل، كما هو حال غيرها من الدول، ولكن وتيرة كشف قضايا الفساد السلطوي والإخلال بالثقة وإساءة أصحاب المناصب الرسمية لاستعمال صلاحياتهم تزداد سنة بعد سنة. ومن المعروف أن من بين المتورطين في قضايا فساد في إسرائيل كان وزير الداخلية الحالي (والسابق قبل سجنه)، وزعيم حزب شاس، أرييه درعي، الذي قضى محكوميته بالسجن وعاد بعد سنوات إلى نفس المنصب الذي استغله لتلقي الرشوة، ورئيس وزراء سابق هو إيهود أولمرت،[٥٨] ووزير المالية السابق في حكومة كاديما الأخيرة، أبراهام هيرشزون، الصديق الشخصي لشارون وأولمرت وأحد أبرز شخصيات السياسة الإسرائيلية سابقًا. وقد سُجن هذا بتهمة اختلاس وسرقة مبالغ تقدر بملايين الشواكل أثناء تولّيه مناصب إدارية رفيعة في منظمات صهيونية شبه رسمية. كما أُدين رئيس الدولة السابق بارتكاب مخالفات أخلاقية وسُجن لمدة ٨ سنوات، والقائمة تطول.[٥٩]ولم تكن سنة ٢٠١٥ مختلفة في هذا المضمار وسنستعرض في الصفحات التالية أهم قضايا الفساد السلطوي في هذه السنة.

في طريقها إلى رأس هرم السلطة والمناصب العليا في القطاع العام في إسرائيل، حظيت ظاهرة الفساد باهتمام كبير في الرأي العام الإسرائيلي وأثارت قلقا واضحا في الأوساط المنشغلة بضمان تطبيق سيادة القانون وبتآكل قيم الإدارة النزيهة والحفاظ على المال العام. ويفرد مراقب الدولة الحالي، يوسف شبيرا، فصولا في تقاريره الدورية لكشف

الفساد وسوء الإدارة في المؤسسات الحكومية والعامة، على اختلافها، وفي أوساط جميع العاملين حتى أدناهم منصبًا ورتبة.[٦٠] كذلك يولي المعهد الإسرائيلي للديمقراطية اهتمامًا واسعًا لمسألة الفساد السلطوي،[٦١] انطلاقًا من ضرورة محاربته بقوة لشدة مخاطره وفقًا لطاقم الباحثين المتخصص في المعهد.

ويتفق هؤلاء الباحثون مع التوجه السائد في هذا المجال، الذي يعتبر الفساد في أوساط السلطة أحد مصادر المس الخطير بقيم العدالة وبجودة السلطة وبالتماسك الاجتماعي وبمستوى حياة السكان في الدولة.

كما أن للفساد أثر سلبي بالغ على النمو وعلى معدلات الاستثمار الاقتصادي، وخاصة من جانب رؤوس أموال أجنبية تفقد ثقتها بنظام الدولة ومدى استقراره، كما تخاف من ارتفاع التكاليف المرافقة للمباشرة بمشاريعها الاقتصادية بسبب فساد الأوساط الرسمية التي تصدر التصاريح والأذون اللازمة للمستثمر الأجنبي والمحلي أيضا لانطلاق مشاريعه. كما يرى أن الفساد السلطوي يلحق ضررا فادحا بقيم الديمقراطية وبالقدرة على إدارة الحياة العامة بوسائل قانونية مشروعة. ومن شأن الفساد المتفاقم الذي لا يحظى بمعالجة جدّية أن يلحق الضرر بأسس الحكم والمجتمع حتى يفقد النظام شرعيته.

احتلت إسرائيل الموقع ٣٧ على سلم الفساد السلطوي «تي آي» والذي يضم ١٧٥ دولة وتنشره سنويا منظمة الشفافية العالمية.

في أعقاب تزايد سلوكيات الفساد في إسرائيل بدأ يطرأ ارتفاع على تدريج إسرائيل بين الدول على مقياس الفساد السلطوي الذي تعده وتنشره سنويا منظمة الشفافية العالمية (TI (Transparency International. ففي سنة ٢٠١٤ احتلت إسرائيل الموقع ٣٧ على هذا السلم الذي يدرج على قائمته ١٧٥ دولة في العالم، وهي بذلك ترتفع درجة واحدة بعد أن كانت في ٢٠١٣ في المكان ٣٦ بعد تحقيقها تقدمًا قياسا إلى سنة ٢٠١٢ حيث احتلت المكان ٣٩. ومن الجدير بالذكر أن موقع إسرائيل على سلم الفساد العالمي يراوح مكانه في النصف الثاني من عشرية الثلاثينات منذ سنة ٢٠٠٦. هذا بعد أن راوح بين الدرجات ١٤–٢٢ في تسعينيات القرن الماضي.[٦٢] ويمكن تفسير هذا التراجع والثبات عليه في عدم مواجهة ظاهرة الفساد أو الفشل في محاربتها .كذلك احتلت إسرائيل في ٢٠١٤ الموقع ٢٤ من أصل ٣٤ دولة تشكل منظمة الدول المتقدّمة الـ OECD وهي نتيجة مخيبة للآمال في أوساط المدافعين عن نزاهة الحكم في إسرائيل. وقد عقّبت المديرة العامة لمنظمة الشفافية الدولية على هذه النتيجة بقولها: «إن حقيقة وجود إسرائيل بين دول الثلث الأدنى من دول الـ OECD على مؤشر الفساد هي حقيقة مخيبة للآمال. كما أن الحقيقة التي تتلخص في أننا، سنة بعد سنة، لا نرى موضوع محاربة الفساد على جدول اهتمام الحكومة هي حقيقة تثير قلقًا حقيقيًا. ولكي يتحسن مكانها على المؤشر، على إسرائيل أن

تتبنى وتذوت قواعد أخلاقيات العمل في أعضاء الكنيست والوزراء، وتحول الشفافية إلى الحالة الافتراضية الفضلى وهذا يشـمل لجنة التشريع الوزارية، وتعزيز موقف فاضحي الفساد وحمايتهم».[٦٣]

أشـغل هذا التراجع في موقع إسرائيل على مقياس الشفافية والفساد وسائل الإعلام والعاملين في مجال جودة الحكم في إسـرائيل، خاصـة وأن التراجع يأتي ضمن اتجاه عام يتكرر منذ سنوات. يعتقد هؤلاء أن هذا التراجع يستدعي تفكيرا جذريا حول كيفية محاربة الظواهر التي تلحق الضرر بسـمعة إسـرائيل في العالم، حيث من المعروف أنه في الأماكن المصابة بالفسـاد السلطوي لا تصل الموارد اللازمة إلى حيث خصصت، مما يلحـق الضرر بالكثير من المجالات الحيوية مثـل التعليم والصحة والبنى التحتية والرفاه وغير ذلك.

وفي أعقاب نشـر تدريج إسرائيل على مؤشر الفسـاد الذي تصدره منظمة الشفافية العالمية في كل سـنة، تتعالى أصوات تتلخص في أن محاربة الفسـاد في إسرائيل غير جديّـة، ولم تنجح ولم تؤت ثمارها حتى الآن، ولذلك يجـب العمل على تنجيعها ودوامها، وعلى رفع مسـتوى ضلوع الجمهور العام في حملة محاربة الفسـاد، لأن من شأن تدني الفسـاد تحسين الوضع الاقتصادي ومسـتوى حياة المواطنين. ويبدو أن انتشار ظاهرة الفسـاد السـلطوي جعل الرأي العام الإسـرائيلي يصر على أن إسرائيل أصبحت دولة فاسـدة،[٦٤] وهو ما يتضح من اسـتطلاعات الرأي التي تُجرى بشكل دوري، وكان آخرها الاستطلاع الذي أجراه معهد «مدغام» الشهير لصالح أخبار القناة الثانية في إسرائيل، وتبيّن نتائجه أن ٧٢٪ من الجمهور في إسرائيل يعتقدون أن إسرائيل دولة فاسدة.[٦٥] والمهم فـي هذه النتيجة هو توافقها شـبه الكامل مع غالبية نتائج الاسـتطلاعات بشـأن رأي الجمهور بمستوى الفساد في إسرائيل منذ سنوات، وكان مؤتمر سديروت السنوي الذي تنظمه كلية سـبير في بئر السبع يسـتطلع آراء الجمهور في هذا الشأن وينشرها خلال فترة انعقاد المؤتمر، وكانت تأتي دائمًا بنتائج مشابهة، ولا تختلف عنها نتائج استطلاعات كليات ومعاهد أبحاث إسـرائيلية أخرى.[٦٦] وتبيّن اسـتطلاعات وأبحاث منظمة الشفافيّة العالميّة نتائج مشابهة إلى حدّ بعيد.[٦٧]

تركت قضية الفساد الأكبر في ٢٠١٥، وهي قضية الفساد التي ينتمي أبـرز الفاعلين فيها إلى حزب "إسرائيل بيتنا"، أثرًا واسعًا على الخطاب العام في المجتمع الإسرائيلي.

٣.١ كبرى قضايا الفساد السلطويّ في ٢٠١٥

تركت قضية الفسـاد الأكبر في ٢٠١٥، وهي قضية الفساد التي ينتمي أبرز الفاعلين فيها إلى حزب «إسـرائيل بيتنا»، أثرًا واسعًا على الخطاب العام في المجتمع الإسرائيلي وعلى السـاحة السياسـية، لا سـيما وأنه تمّ الكشـف عنها في الفترة التي كانت فيها

الانتخابات البرلمانية على الأبواب، وكان هنالك تقديرات تتحدث عن إمكانية خسارة الليكود والأحزاب التي تدور في فلكه، ومنها حزب «إسرائيل بيتنا»، للحكم لصالح المعسكر الصهيوني برئاسة حزب العمل.

أبرز الشخصيات التي كانت متورطة في قضية الفساد الكبيرة هذه هي نائبة الوزير من حزب ليبرمان فانيا كيرشنباوم، والوزير السابق ستِس مسيجنيكوف، إضافة إلى شخصيات سياسيّة واجتماعيّة مقربة من قيادة الحزب ومن زعيمه إيفيت ليبرمان. أما من حيثُ اتساع رقعة الفساد فقد تورط في هذه القضية عدد كبير من أصحاب المناصب في السلطات المحلية ومؤسسات الحكم والجمعيات وحتى شخصيات عامة في تنظيمات اجتماعيّة ورياضيّة، مثل رئيس دوري كرة السلة في إسرائيل.[٦٨] وكان مصدر الاهتمام الذي أولته هيئات التحقيق والمؤسسات القضائيّة ووسائل الإعلام لهذه القضية هو تشعّبها الكبير، حتى وصفت بكونها أخطبوطيّة، ففي كل يوم كان يتكشّف النقاب عن أوساط جديدة متورطة في الشبكة التي أشرفت عليها نائبة الوزير المذكور وناشطون حزبيون من حاشيتها ورؤساء سلطات محليّة وموظفون برتب مختلفة في شتى الوزارات والمؤسسات. وكان من بين المتورطين أيضًا ألكس فيجنتسر، المدير العام للمؤسسة الرسمية المسؤولة عن كل شبكة الشوارع في إسرائيل، وهو مقرب من حزب «إسرائيل بيتنا».

شملت قضية الفساد الكبيرة هذه رشاوى بمبالغ هائلة كانت تقبضها لحسابها الخاص شخصيات تتبوأ مناصب سلطوية مهمة مُقابِل تحويلها مبالغ كبيرة من ميزانية الدولة للجمعيات والمؤسسات التي يرأسها دافعو الرشاوى، دون أن تستحق مؤسساتهم هذه الأموال. وقد وَجَد محققو الشرطة مبالغ مالية كبيرة في الحسابات البنكية الخاصة بالمتورطين مثل نائبة الوزير كيرشنباوم وزوجها وآخرين من شخصيات الصف الأول في حزب إسرائيل بيتنا وأصدقاء زعيم الحزب.[٦٩]

وقد تبيَّن من التحقيق في هذه القضية التي اعتبرت أكبر قضية فساد سلطوي في تاريخ إسرائيل، أنّ المتورطين في القضية تبنوا أساليب مبتكرة وكثيرة، أبرزها هو قيام نائبة الوزير كيرشنباوم وأصحاب المناصب السلطوية من المقربين إليها بتحويل مبالغ مالية كبيرة من ميزانية الدولة إلى جمعيات أهلية مقربة، قامت لأهداف مختلفة، أو لمؤسسات عامة أخرى،[٧٠] مقابل تقديم الرشوة، ونقل بعض هذه المخصصات إلى جيوب نائبة الوزيرة والآخرين أو تشغيل أبناء عائلاتهم أو دفع رواتب لمقربين من هؤلاء دون أن يعملوا إطلاقًا.[٧١] ومن نافل القول إنّ رؤساء هذه الجمعيات والمؤسسات مقربون من حزب إسرائيل بيتنا، ولذلك فإنّ الأموال المُحولّة لهم دون وجه حق كانت تعود بالفائدة السياسية أحيانًا على الحزب من حيثُ توسيع قاعدته الشعبية وجمهور المرتبطين به.

شملت قضية الفساد الكبيرة هذه رشاوى بمبالغ هائلة كانت تقبضها لحسابها الخاص شخصيات تتبوأ مناصب سلطوية مهمة مُقابل تحويلها مبالغ كبيرة من ميزانية الدولة للجمعيات والمؤسسات التي يرأسها دافعو الرشاوى.

لم يختلف قطاع الحكم المحلي عن غيره من السلطات فيما يتعلق بانتشار ظاهرة الفساد.

٣.٢ الفساد في السلطات المحلية

لم يختلف قطاع الحكم المحلي عن غيره من السلطات فيما يتعلق بانتشار ظاهرة الفساد،[٧٢] لا بل إن البعض يظنون أنّ تفشي الفساد في هذا القطاع تحديدًا يكون أسرع وأوسع، كما أن اكتشافه يتطلب وقتًا أطول لأنه ينتشر في دوائر تأثيرها محليّ والعلاقات بينها حميميّة.[٧٣] عادةً يأخذ الفساد في السلطات المحلية والبلدات عدة مسارات مألوفة ومتكررة مثل تعيينات أشخاص مقربين غير مؤهلين في مناصب إدارية عالية، ونقل أموال السلطات المحلية إلى الأصدقاء والمؤيدين من المقاولين ورجال الأعمال بواسطة مناقصات وهمية أو منحازة، والتواطؤ مع أصحاب مناصب في مؤسسات الدولة لتحويل ميزانيات حكومية إضافية لهذه السلطة أو تلك لقاء خدمات وفوائد تُوجّه إلى أصحاب هذه المناصب، كما حدث في قضية الفساد، التي كانت نائبة الوزيرة كيرشنباوم من حزب إسرائيل بيتنا بطلتها الرئيسية (وقد تناولناها بتوسع فيه هذا الفصل). هذا إضافة إلى منح تراخيص بناء مخالفة للقوانين لشركات إعمار كبيرة، كما كان في قضية مشروع إسكان هوليلاند في القدس الغربية، التي تورّط فيها كثيرون من أصحابا المناصب سواءً في الحكم المحلي أو الحكم المركزي، بينهم رئيس حكومة إسرائيل السابق إيهود أولمرت الذي يقضي الآن محكومية سجن فعلي على ما كان شريكًا فيه من قضايا فساد مختلفة. وبمقدور القيمين على مجال البناء في كل سلطة محلية أن يزيدوا أرباح شركات البناء بأضعاف مضاعفة بواسطة زيادة نسبة البناء الممكن على مساحات الأرض المنوي البناء عليها لقاء رشاوى لموظفي الحكم المحلي. ويمكن أن يأخذ الفساد صورًا أخرى مثل إعفاء المقربين والأقرباء من دفع الضرائب البلدية أو التغاضي عن ديونهم المستحقة.

أصبح تفشي الفساد في السلطات المحلية أمرًا مقلقًا جدًا للشرطة وأجهزة فرض القانون المختلفة، وقد عبّر عن ذلك مراقب الدولة، بقوله إنّ الظاهرة مقلقة، وهي بمثابة فيروس يتفشّى بسرعة كبيرة.

يلحق الفساد في الحكم المحلي ضررًا بالسكان في مجالات مختلفة، مثل تبذير المال العام التابع للسلطات المحلية، تدني دخل السلطات المحلية، ما ينعكس في تدني مستوى الخدمات للسكان، المس بفرص العمل لأصحاب المؤهلات والكفاءات بسبب تعيين أشخاص مقربين من رئيس السلطة المحلية أو حزبه في المناصب الإدارية دون توفُر الكفاءة، إساءة التخطيط لتطوير المدينة أو القرية ما ينعكس سلبًا على مستوى الحياة، وعلى غلاء تكاليف المعيشة وهذا إلى خلق أزمات مرورية وإسكانية تساهم بدورها في تدني جودة الحياة وارتفاع تكاليفها، كما يمكن أن تسبّب ازديادًا في نسب تلوث الجو والماء وما إليه من مكاره تهدد سلامة الجمهور.

ويرافق الفساد، بطبيعة الحال، انعدام الشفافية في ما يتعلق بعمل السلطة المحلية أو البلدية، وفي المحصلة يعزز الفساد في السلطات المحلية تلك العلاقة المشبوهة بين المال والسلطة أو أصحاب رؤوس الأموال من ناحية، والسلطات القطرية والمحلية من الناحية الثانية، وهي علاقة تلعب أدوار بطولة في موضوعة الفساد، ليس في إسرائيل فحسب، بل في

دول كثيرة أخرى. ومن المعروف أنّ قدرة الرؤســاء والموظفين الفاســدين في السلطات المحلية على البقاء في مواقعهم وزيادة قوتهم بســبب الأمــوال الطائلة التي يجنيها هؤلاء من علاقات الفساد مع أصحاب رؤوس الأموال وأصحاب المصالح تزيد بكثير عن قدرة المنافسين العاديين لهم، إضافة إلى أنهم يعززون تأثيرهم على السكان بواسطة هذه الأموال. ويشار إلى أن أنماط السلوك الفاسد في أوســاط رؤساء وموظفي السلطات المحلية تشبه بعضها لديهم جميعًا مع بعض الاختلافات الهامشية، كما سنرى لاحقا في قضايا تورط فيها بعض الرؤساء والموظفين.

في الأشهر الأولى من ٢٠١٥، ادين شمعون غابسو، رئيس بلدية نتسيرت عيليت ونائبه بتلقي الرشوة.

وقد أصبح تفشي الفساد في السلطات المحلية أمرًا مقلقًا جدًا للشرطة وأجهزة فرض القانــون المختلفة، وقد عبّر عن ذلك مراقب الدولة، بقولــه إنّ الظاهرة مقلقة، وهي بمثابة فيروس يتفشّى بسرعة كبيرة».[٧٤]

كان آخر رؤســاء البلديات الذي أضيف إلى قافلة الرؤســاء والموظفين الكبار المتهمين والمتورطين بالفســاد في ٢٠١٥ رئيس بلدية مدينة أشــكلون إيتمار شمعوني، الذي اتهم بارتــكاب عمليات اغتصــاب لموظفات في البلدية، إضافة إلى تلقّي الرشــوة مقابل تقديم تسهيلات غير قانونية لعدد من أصحاب رؤوس الأموال الذين تربطهم علاقة بأعمال البناء والتطويــر في المدينة. كما اتهم هذا بتبييض الأموال وعمليات غش متتالية منذ ســنوات. اعتقل مع شمعوني أربعة متهمين آخرين بينهم أخوه وموظفون آخرون ومقاولون كان لهم ضلع في مخالفة الرشوة المنسوبة إليهم.[٧٥]

ويُرَجّح في أوساط المحققين أنّ رئيس البلدية استخدم الأموال التي جناها من الرشاوى فــي إقناع ضحاياه من النســاء بمواصلــة صمتهن عن ما ارتكبــه ضدهن وعدم تقديم شكاوى ضده للشرطة.

قبل أســبوعين فقط من اعتقال شــمعوني، جرى اعتقال رئيــس المجلس المحلي لبلدة «ماطي يهودا» وعدد من كبار الموظفين في السلطة المحلية هناك بتهم شبيهة لتلك المذكورة أعلاه، فقد اتهم رئيس الســلطة المحلية المذكورة وزملاؤه بالفســاد وتلقي الرشوة والغش والإخلال بالأمانة وارتكاب مخالفات جنسية ضد عدد من النساء. هنا أيضًا كانت شركات البناء متورطة في دفع الرشاوى.[٧٦] وفي شهر كانون الأول ٢٠١٥، دخل رئيس بلدية مدينة بات يام السجن لقضاء محكوميته بالسجن الفعلي بعد أن أدانته المحكمة بعدد من قضايا الفساد الرشوة والإخلال بالثقة، وكان شلومي لحياني قد ارتكب هذه المخالفات التي أدين بها في الفترة التي كان فيها يرتقي سلم الشهرة ويتحول إلى شخصية شعبية مهمة على صعيد مدينته المركزيّة بين مدن إســرائيل، وعلى الصعيد القطري أيضًا، وكان من المتوقع أن ينتقل من مجال العمل البلدي إلى العمل السياسي على المستوى القطري.[٧٧]

لم تكن سنة ٢٠١٥ مختلفة عن سابقتها فيما يتعلق بجهاز الشرطة وقضايا الفساد الإداري والأخلاقي التي هزّت هذا الجهاز وأرهقته.

قبل هؤلاء، وفي الأشــهر الأولى من ٢٠١٥، ادين شــمعون غابســو، رئيس بلدية نتسيرت

عيليت ونائبه بتلقي الرشـــوة. وفي حزيران من السنة نفسها، قدمت النيابة العامة إلى المحكمة في حيفا لائحة اتهام أخرى ضد غابســـو بتهم الفســـاد والرشوة، وقد أدت الإدانة المذكورة ثم الاتهام الثاني إلى إعفاء غابسو من منصبه كرئيس لبلدية نتسيرت عيليت التي كان قد انتخب لرئاستها بعد أن أدين بلائحة الاتهام الأولى، وكانت تحوم حوله شبهات تم تفصيلها في لائحة الاتهام الثانية المذكورة.[٧٨] حدث هذا الأمر مع ثلاثة رؤساء بلديات آخرين، وهو أمر مستهجن يبيّن أن الجمهور لا يكترث بالفساد وتفشّيه ولا يساهم في محاربته.

علـــى كل حال، تبيّن مجريات الأمور في ما يتعلق بالفســـاد في الحكم المحلي، وتكرار حالات اكتشـــاف متورطين من كبار الموظفين في البلديات والســـلطات المحلية، كما بينا أعـــلاه، أنّ لا جديـــد في تفشـــي الظاهـــرة، ولا اختلاف عن واقع الحال الذي ســـاد في الســـنوات الأخيرة، ففي عام ٢٠١٣، كان هناك نحو ٦٠ سلطة محلية وبلدية في إسرائيل يخضعون للتحقيق في قضايا فســـاد متنوعة ومتفاوتة في خطورتها وعدد المتورطين فيها من أوساط أصحاب الهيمنة المالية والمقاولين وغيرهم.[٧٩]

هنالك مَن لا يكترث بكثرة حالات الفســـاد في إســـرائيل بحجة أنّ موقع إسرائيل في التدريج العالمي للدول حسب مؤشر الفساد وعمقه، لا يتغيّر كثيرًا منذ سنواتٍ طويلة، وها هي في ســـنة ٢٠١٤ تحتل الموقع ٣٧ بين دول العالـــم، وهو ملاصق للموقع الذي احتلته في السنة التي سبقتها.

إنّ التوصل إلى استنتاج كهذا، أو إلى الاعتقاد بأنّ الثبات على التدريج نفسه لا يدعو إلى القلق هو اســـتنتاج خطير يســـيء التقدير بخصوص ما يمكن أن تتدهور إليه خطورة تكرُّر حالات الفساد في أي بلد في العالم، فالمواطن العادي لا يهرول عند كشف النقاب عن قضية فساد جديدة إلى التدريج العالمي، أو إلى الإحصائيات المقارنة لكي يتأكد من أن لا تغيير في مكانة دولته على ذلك التدريج، وإنما ينظر إلى القضية في سياق الحياة اليوميّة حيثُ يشـــعر على جلده تراجُع في مســـتوى الحياة، وفجوات اجتماعية هائلة وفقر يتعمَّق سنة بعد سنة، ومخاطر أصبحت تدب الهلع والرعب في قلب كل إسرائيلي، وعجز حكومي في التعامل مع الكثير من الظواهر الاجتماعية الأخرى مثل الجريمة المنظَّمة، وغير ذلك.

ويقلل إضافة الفساد إلى كل أوجه التقصير والعجز الأخرى من ثقة المواطن بالهيئات المختلفـــة التـــي تحكم البلاد وتُضعِف شـــرعية الحكم من ناحية، كمـــا أن ذلك يؤدي إلى تراجُع في مســـتوى الالتزام الفرديّ بالمسؤولية الاجتماعية ما يؤدي إلى خروج المواطنين من السياســـة ومن الرغبة في التأثير على ما يجري، وفي هذا ما يفيد الفســـاد ويقلِّل من الضغوط عن الفاسدين. هذا طبعًا إضافة إلى تأثير الفساد على صورة هذه الدولة أو تلك في العالم وبالتالي على الاستثمار الخارجي والاقتصاد عامةً.

من ناحية ثانية، وكما ذكرنا في حالة إعادة انتخاب رؤساء البلديات حتى بعد إدانتهم في المحكمة، وكما في حالة الوزير درعي الذي عاد إلى رئاسة حركة شاس، ناهيك عن عودته إلى منصب وزير داخلية في حكومة نتنياهو الحالية، هنالك تساهُل في تعامل الجمهور مع المتورطين بالفساد السلطوي سابقًا، فهؤلاء يعودون إلى استلام مناصب رسمية وعامة، ويعودون إلى مراكزهم السابقة وإلى تعزيز قاعدتهم الشعبية بسهولة، والمجتمع يتعامل معهم بالكثير من التغاضي عن ماضيهم، وهذا أيضًا يشرح جزءًا من فشل إسرائيل في محاربة الفساد.

٣.٣ الشرطة، مراوحة بين الفساد التنظيمي والانحدار الأخلاقي

لم تكن سنة ٢٠١٥ مختلفة عن سابقتها فيما يتعلق بجهاز الشرطة وقضايا الفساد الإداري والأخلاقي التي هزَّت هذا الجهاز وأرهقته، كما تركت أثرًا واضحًا على مؤشِر الثقة به في صفوف المواطنين والأوساط السياسية والاجتماعية عامة.

لم تقتصر المخالفات والتجاوزات الجنائيّة والأخلاقيّة التي ارتكبها ضباط الشرطة على التحرش الجنسي والاغتصاب، بل كان هنالك بعض حالات تلقي الرشوة والغش والإخلال بالأمانة.

بدأت السنة وجهاز الشرطة مشغول بمواجهة الآثار التي تركتها أو ستتركها عقبات استقالة أو إقالة ستة من ضباط الدرجة الأولى في الجهاز، تورطوا بارتكاب مخالفات جنسيّة ضد شرطيات وموظفات في الشرطة.[٨٠] تدور جميع هذه المخالفات حول التحرش الجنسي واستغلال الصلاحية والسطوة لإلزام زميلات العمل على ممارسة الجنس خلافًا لإرادتهن، وكل ما يُرتكب من مخالفات مرافقة تهدف إلى إخفاء الجرم مثل الضغط على الضحايا لردعهم عن تقديم الإفادات أو طمس وإضفاء الأدلة.

إضافة إلى هذا النوع من المخالفات الجنائية والجرائم الأخلاقيّة بحق النساء في الجهاز، كانت هناك قضايا الفساد المالي، التي فاحت رائحتها الحادة في السنتين الأخيرتين، مع أنها كانت موجودة على امتداد تاريخ جهاز الشرطة، ولكنها في هذه المرة برزت بحدّة واحتلت موقعًا هامًا على بساط اهتمام الخطاب العام بسبب تراكمها على عدد من قضايا الفساد الأخرى، التي انكشفت بوتيرة متسارعة، الواحدة تلو الأخرى، حتى ساد انطباع عام بترهُل وعجز جهاز الشرطة واقترابه من حالة الانهيار الكامل،[٨١] وهو أمرٌ لا يُستهان بِهِ في مجتمعٍ يعيش حالة من التوتُّر والتأهُب الدائميْن، بسبب الأوضاع السياسيّة على جميع الجبهات، وقد شملت قائمة المُدانين والمتهمين مِن رجال الشرطة عشرات الأسماء من الرُتب المختلفة، ومن المناطق المختلفة.[٨٢]

هذا على الرغم من التصريحات المتتالية للقائد العام للشرطة ولوزيريْ الأمن الداخلي في الحكومة الإسرائيلية السابقة، والحاليّة، بأنّ جهاز الشرطة يبذل كل الجهود وبقبضة

حديديّة، لمواجهة ظاهرة انتشار الجرائم والمخالفات الجنسيّة وكل أشكال الفساد الإداري وتلقي الرشوة وغير ذلك.

وقد تبيّن من التحقيق في شكاوى ضحايا المخالفات المذكورة أنّ الظاهرة قائمة منذ زمن بعيد، وكثيرون يعرفون عن وجودها ولكنهم يصمتون إزاءها باعتبارها أمرًا طبيعيًا، حتى أنّ كثيرين من الضباط الذين عرفوا بمجالات معينة وكانَ عليهم أن يبلغوا عنها، لم يفعلوا ذلك، وبهذا ساهموا في تكريس الظاهرة، حسب أقوال رئيس قسم التحقيقات مع رجال الشرطة، والمستشار القضائي للحكومة.[٨٣]

وأضاف رئيس قسم التحقيقات أنّ الخطورة الأبرز تنبع من كون المتورطين يحتلون المناصب القيادية الأعلى والذين من المتوقع، تنظيميًا، أن يشكلوا قدورة تقتدى لنحو ٣٠٠٠٠ شرطي في إسرائيل، ينظرون إلى هؤلاء كنموذج يحذوْن حذوه نحو قمة جهاز الشرطة، هذا في حين أنّ الواقع الذي يتكشّف أمام هذه الآلاف من الشرطيين والشرطيات يشير إلى وجود ثقافة فرعية فاسدة ومنحرفة داخل الشرطة، وهذا يشكّل خطرًا جديًا يحتاج إلى مواجهة قويّة.[٨٤]

٦٩,٨٪ من المشاركين في البحث قالوا إنّ قضايا التحرش الجنسي أثّرت سلبًا مما كان في الماضي. ٧٨٪ قالوا إنّ قضية التحرش قد أظهرت أنّ ثقافة ذكورية تنخر جهاز الشرطة.

لم تقتصر المخالفات والتجاوزات الجنائيّة والأخلاقيّة التي ارتكبها ضباط الشرطة على التحرش الجنسي والاغتصاب، بل كان هنالك بعض حالات تلقي الرشوة والغش والإخلال بالأمانة، وسوف نتطرق إلى هذه المخالفات لاحقًا في هذا الباب. إلا أنّ مخالفات التحرش الجنسي الكثيرة أثارت اهتمامًا واسعًا في المجتمع الإسرائيلي في محاولة لفهم أسباب هذا السلوك، لا سيما في أجهزة فرض القانون، مثل الشرطة والجيش.

لم تُجرَ أبحاث علمية ولم تكتب مقالات متخصصة حول ظاهرة التحرش في الشرطة الإسرائيلية في السنتين الأخيرتين، إلا أنّ المتابع لوسائل الإعلام يلاحظ أنّ أسباب الظاهرة تُعزى إلى أمرين، الأول عوامل ثقافية لها حضور بارز في الثقافة الإسرائيلية عامةً، والثاني تنظيمي إداري يتعلق بهيكلية أجهزة فرض القانون. أما التزاوج بين الأمرين فيزيد من فرص انتشار السلوك القائم على القوة وعلى استضعاف النساء وغيرهن من الفئات المستضعفة.

تتعلّق العوامل الثقافية المؤثرة بوجود ظاهرة التحرش الجنسي بشكلٍ عام، ورواجها في المنظمات التراتبية الصارمة، وبالتمييز ضد النساء في جميع مجالات الحياة، وبثقافة الـ Machoism، أو التفاخر بمظاهر الرجولة، وهو مركب شائع في ثقافات المجتمعات التي تتميز، بفعل ظروف سياسية تعيشها، بتغلغل العسكرة إلى كل جوانب الحياة اليومية والشخصيّة للمجتمع. ومن المرجّح أن أجهزة فرض القانون مثل الشرطة والجيش، هي أبرز المواقع التي يتجسد فيها التفاخر بفظاظة الرجولة وعسكرة المجتمع وهي بحكم

طبيعتهـــا ذكورية تراتبية. وعليه فمن الناحية التنظيميـــة الإدارية تتميز أجهزة مثل جهاز الشـــرطة، وكذلك الجيش والســـجون، بمناخ تنظيمي ومبنى هرمـــي وعلاقات قوة وتركيز لصلاحيات واسعة تقوم على القسر والإلزام من طرف أصحاب مناصب يقفون على رأس التنظيـــم. وكما أســـلفنا فإنّ تفاعل هذه العوامل مع بعضها علـــى خلفية العامل الثقافي المتعلّق بالنســـاء أعلاه، يؤدي إلى زيادة احتمال ارتكاب مخالفات التحرش الجنسي، وهو ما يحصل على أرض الواقع في شرطة إسرائيل.[٨٥]

كان مـــن المتوقـــع أن يؤدي تكرار هذه الحالات إلى انخفاض حاد في مؤشِـــر ثقة الجمهور بجهاز الشـــرطة، وهو جهاز لم يحظَ حتى من قبل بدرجة عالية من الثقة، وقد أثبت بحث أوليّ أجراه قسم دراســـة الجريمة في إحدى الجامعات الإسرائيلية أنّ مكانة الشرطة وسمعتها قد شهدتا ترديًا حادًا في أعقاب ما نُشر عن المخالفات والتجاوزات التي ارتكبها عدد من الضُباط فـــي الجهاز واضطرارهم إلى الاســـتقالة مُخيَّرين أو مجبرين، وقد توصَّـــل البحث إلى نتيجة مفادها أنّ ٥٠٪ من الجمهور الإســـرائيلي يعتقدون أنّ جهاز الشرطة فاسد، ولكنه مع ذلك ما زال يتمتع بمصداقية وبمكانة جيِّدة مقارنةً مع الحكومة والسياسيين.[٨٦]

٦٩,٨٪ من المشـــاركين في البحث قالوا إنّ قضايا التحرش الجنســـي أثّرت سلبًا مما كان فـــي الماضي. ٧٨٪ قالوا إنّ قضية التحرش قد أظهرت أنّ ثقافة ذكورية تنخر جهاز الشـــرطة، وصرّح ٥١٪ من المشاركين أنهم يروْن في الشـــرطة جهازًا فاسدًا. وعن تأدية الشـــرطة لوظيفتها، تبيّن من البحث أنّ ٥٥٪ من المشـــاركين يعتقدون أنّ الشـــرطة تقوم بمهامها بدرجة ضعيفة أو ضعيفة جدًا، لذلك فإنّ لدى ٧٠٪ من المشاركين ثقة ضئيلة أو ضئيلة جدًا بجهاز الشرطة.[٨٧]

في شهر تموز، أقدم اللواء إفرايم بـراخـا، رئـيس الـوحـدة القطرية للتحقيق فـي جـرائـم الاحـتـيال، وهي إحدى أهم وحدات التحقيق في الشرطة، على الانتحار قرب بيته في مدينة موديعين.

أما الإجابات عن الأســـئلة المتعلقة بمهنية الشـــرطة وقربها مـــن المواطن ومدى جديّة تعاملها مع من يتوجه اليها، وتعاملها بالتساوي مع جميع الفئات التي تطلب مساعدتها، فكانت قريبة من العلاقة ٣ على سُـــلم تقييم من ٥ درجات (١ إلى ٥ حيثُ ٥ هي الأعلى)، أما عن مبالغة الشـــرطة في اســـتعمال العنف، فجاءت النتيجـــة متدنِية (نحو ٢,٥ على الســـلم)، وهكذا الأمر بالنســـبة للتعامل بمســـاواة مع الفئات المختلفة التي تتوجه طالبةً مساعدة الشرطة.

أما عن الثقة بالشرطة مقارنةً بمؤسسات أخرى، فقد حصلت الشرطة على درجة ٢,٩٥ على سلم يتراوح بين ١ و٥، وهذا تدريج أقل بكثير من مستوى الثقة بالجيش (٤ من ٥)، وجهاز القضاء الذي حصل على ٣,٢٥ من ٥. مع ذلك يبقى مســـتوى الثقة بالشـــرطة أفضل من الثقة بالحكومة (٢,٦ من ٥) والمؤسســـات الدينيّة والحاخامية الرئيسية (٢,٢ من ٥ درجات).

أجمعت التعقيبات على نتائج هذا البحث على أنّ انخفاض مؤشِر الثقة بجهاز الشرطة إلــى حــدٍ كبير هو أمرٌ مقلق يجــب أن يعامل بجدية وبســرعة،[٨٨] لأنّ انصياع المواطنين للشرطة واستعدادهم للتعاون معها في مكافحة الجريمة والظواهر السلبية على اختلافها، يتعلــق بمدى ثقتهم بالجهاز وإيمانهم بفائدة هذا التعاون ومردوده الخاص والعام. ولذلك فمن الممكن أن يكون للتغيير الســلبي في مواقف الجمهور من جهاز الشــرطة إسقاطات سلبيّة حادة على نجاح الشرطة في تحقيق مهامها وأهدافها.[٨٩]

وكان مؤشِر الديمقراطية لعام ٢٠١٥، الذي يصدر على نحو دوري عن المركز الإسرائيلي للديمقراطية، قد أشــارَ إلى نتائج مشــابهة على صعيد تدني مستوى الثقة بالشرطة في هذه الســنة، حيثُ حصلت على ثقة ٤٢,٤٪ فقط من المشــاركين في البحث الذي يعتمد عليه مؤشِــر الديمقراطية في نتائجه،[٩٠] وهذا يدل على تراجُع في هذه الثقة مقارنةً بمؤشِر الديمقراطية في العام الماضي.[٩١]

قضية أربيب- بينتو وقضية فيشر- دافيد -مالكا، وقضايا فساد الأخرى.

تواصل في هذه السنة الكشف عن حقائق مهمة ذات صلة بقضية رشاوى وفساد كبيرة في الشرطة والنيابة العامة، اعتبرها البعض من أكبر قضايا الفساد في تاريخ إسرائيل.

تواصلت موجة فضائح التحرش الجنسي على مدار السنة، ووصلت إلى أوجها مجددًا في شــهر كانون الأول ٢٠١٥، حيثُ كشفت وسائل الإعلام عن قضية جديدة كان بطلها، في هذه المرة، رئيس وحدة التحقيق «لاهف ٤٣٣»، وهي أعلى وحدة تحقيق في إسرائيل، وهي المسؤولة عن التحقيق في الجرائم الخطيرة، وفي مخالفات الشخصيات الرسمية من وزراء ورؤســاء وزارة وما إلى ذلك. في هذه القضيــة، اتهم رئيس هذه الوحدة، الضابط برتبة لواء روني ريطمان، الذي عُيِّنَ في هذا المنصب في ســنة ٢٠١٤، خلفًا للواء منشــيه أربيب، الذي أدين بالفساد وبتلقي الرشوة، اتهم بالتحرش الجنسي بضابطة شرطة عملت معه. وأثناء التحقيق في هذه القضية، تراكمت بعض الشــهادات التي كان فيها ما يدين الضابط المذكور بالتهمة الموجهة إليه. والملفت في هذه القضية هو أنّ القائد العام للشرطة، الــذي عيّن ريطمان لهذا المنصب المرموق وبالــغ الخطورة، كان يعرف بذلك التحرش قبل اتخاذ قراره بالتعيين، وقد كشفت وسائل الإعلام تسجيلات محادثة بين قائد الشرطة وبين المشتكية يقول فيها إنه مضطر لتعيينه في المنصب، رغم احتجاج الشرطية على ذلك، لأنه من المحققين الأمهر للمرشــحين لمنصب.[٩٢] ســاهمت هذه المعلومة في إشاعة شعور بأنّ هنالك حالة من التراخي والإهمال في مواجهة قيادة الشرطة لقضايا الفساد التي شاعت في جهاز الشرطة وهددته بالانهيار الكامل، ومسّت بشكلٍ خطير جدًا بمكانته.

تعرض جهاز الشــرطة أيضًا، خلال سنة ٢٠١٥، لقضيتي فساد أخريين كشف النقاب عنهما في نهاية ٢٠١٤، إلا أنهما وصلتا إلى نهايتهما في ٢٠١٥. في شــهر تموز أقدم

اللــواء إفرايم براخا، رئيــس الوحدة القطرية للتحقيق في جرائــم الاحتيال، وهي إحدى أهم وحدات التحقيق في الشــرطة، علــى الانتحار قرب بيته في مدينة موديعين. جاءَ هذا الانتحار بعد أن كشــفت وسائل الإعلام أنّ قسم التحقيقات مع رجال الشرطة يحقق في شهادة تدين الضابط المذكور، كان قد أدلى بها رجل دين مرموق بالغ القوة والسطوة في منطقة الجنوب هو ياشيهو بينتو، الذي كان له الضلع الأبرز في قضية الرشاوي التي كان يتلقاها الرئيس الســابق لوحدة «لاهــف ٤٣٣»، المذكورة أعلاه اللواء افرايم براخا، الذي اضطر إلى الاســتقالة من منصبه بعد إدانته بتلقي الرشوة من الحاخام بينتو نفسه،٩٣ علمًــا أنّ بينتــو المتهم بتقديم الرشــوة للضابطين المذكورين هو الذي أدلى بالشــهادات ضدهما بعد أن تبيّن له ولأنصاره أن الشرطة أطبقت عليه الخناق، وأوشكت على القبض عليه بتهمة تقديم الرشاوى لشخصيات رسمية كثيرة من ضمنها ضباط من الصف الأول في شرطة إسرائيل.[٩٤]

استطاع مجتمع الحريديين، حتى يومنا هذا، أن يفعّل بنجاح آليات تضامن داخلي صلب جدًا.

عن قضية المحامي رونال فيشر والمدّعية العامة روت دافيد والمحقق مالكا

تواصل في هذه الســنة الكشــف عن حقائق مهمة ذات صلة بقضية رشــاوى وفساد كبيرة في الشــرطة والنيابة العامة، اعتبرها البعض من أكبر قضايا الفســاد في تاريخ إسرائيل.[٩٥]

عندما بدأت تفاصيل هذه القضية تتكشــف، ظنّ البعض أنّ هناك قضية فساد جديدة أبطالها هم ألون حَسَن، رئيس نقابة عمال ميناء أشدود، وفي الوقت نفسه صاحب شركات نقل مســجلة بأسماء أقربائه، تحتكر كل أعمال النقليات من ميناء أشدود خلافا للقانون، ومحامي ألون حســن وهو محام شــهير ونجم إعلامي معروف يُدعى رونال فيشر. إلاّ أنّ التحقيق في القضية الذي تشــعَّب واســتمر لمدة طويلة وعلى نحو سري كشف معلومات مثيرة على عمق الفساد في هذه القضية وعن تورط شخصيات مؤثِرة جدًا سواءً في وحدة التحقيق في الفساد في الشرطة، تمّ تورُّط صاحبة إحدى أهم المناصب في النيابة العامة في إسرائيل.

وقد تمكنت الشرطة من تحقيق نجاحات باهرة في هذه القضية نتيجة إقناع ألوف حن المذكور أعلاه بأن يتحول إلى شــاهد ملكي ويدلي بإفادات تدين شركاءه مقابل تبرئته من التهم التي كان من الممكن أن يدان بها.[٩٦]

زودت إفادات هذا الشخص الشرطة بمعلومات انتهت بالكشف عن تورط عيران مالكا، أحــد محققي الصف الأول في إســرائيل في هذه القضية، وتلقيه ملايين الشــواكل لقاء

خدماتــه للمحامي رونال فيشــر وموكليه، ومن ضمنهم ألون حَسَــن الذي حاول المحامي وضابط التحقيق ابتزازه فانقلب عليهم وورطهم.

اعترف المحقق مالكا بالتهم الموجهة إليه، وفاوض الشــرطة على أن يتحول إلى شاهد ملكي ضد المحامي فيشر وموكليه مقابل التخفيف من العقوبة التي تطالب النيابة بفرضها عليه. وهذا ما كان فعلاً، إذ كشف مالكا عن تورّط شركاء آخرين أبرزهم محامية اسمها روت دافيــد كانت في الماضي، قبل انتقالهــا للعمل كمحامية في القطاع الخاص، إحدى الشــخصيات المؤثِرة فــي النيابة العامة فــي منطقة تل أبيب، وتبيّن أنها كانت تســتغل صلاحياتها الواســعة في خدمة المحامي فيشــر وموكليه مقابل مبالغ مالية طائلة، دُفعت لها كرشوة.[٩٧]

٤ . هل من تغيير في المجتمع الحريديّ المغلق والشارع المتديّن عامة

يلاحظ أنّ الصحافة الحريدية أصبحت شبيهة إلى حدٍ كبير من حيثُ شكلها ومضامينها بالصحافة العلمانية المعروفة مع المحافظة على بعض المحاذير التي تفرضها الشريعة.

من الواضح أن العوامل التي تدفع حركة التغيير المجتمعي في كل مجتمع، لا تصل إلى أرجاء هذا المجتمع بالشــكل نفسه، ولا تؤثر على مركّباته على نحو متساوٍ، جرّاء أسباب عديــدة بعضها اقتصادي وبعضها ثقافي وعقائدي وما إلــى ذلك، ولعل تجمعات اليهود الحريديين في عدة أحياء في مدن مختلفة مثل القدس وبني براك وحيفا وبيت شيمش خير مثــال على قدرة المجتمعات المغلقة علــى التصدي للتغيير والإبقاء على النظام الاجتماعي القديم المســتند إلى منظومة قيم راسخة قديمة قادرة على شرعنة الوضع القائم واحتواء التحفظات التي قد يُبديها أحيانًا طرف معيّن على سير الحياة الذي يبدو رتيبًا ومستقرًا.[٩٨]

لا بل إنه من المعروف أنّ مجتمع الحريديين استطاع، حتى يومنا هذا، أن يفعّل بنجاح آليات تضامن داخلي صلب جدًا في كل القضايا التي بصددها توجَّه سهام النقد إلى هذا المجتمع، مثل قضايا الدين والدولة، ورفض التجنيد، وتبنّي أحكام الشــريعة في الأحوال الشــخصية، واحتكار القيادة الدينية الحريدية لقضايا التهويد المتشــدد، وجعله المقبول الوحيد، ومعاداة التيارات الأقل تشــددًا من الناحية الدينية بين اليهود وتكفيرها أحيانًا، واحترام قدســية الســبت ومحاولة ابتزاز قرارات حكومية وبلدية محليّة ضد فتح المتاجر في ايام الســبت، والتصدي لأعمال تطوير وبنــاء بحجة وجود جثامين يهود مدفونة تحت الأرض، ومــا إلى ذلك من قضايا دينية واجتماعية كان آخرها فتوى تحرِّم التعليم العالي للفتيات والنســاء،[٩٩] حيثُ أعلن القائد الروحي الجديد لحركة شــاس أنّ تعليم النســاء لا يتوافق مع تعليم التوراة، ولذلك فهو مكروه.[١٠٠]

لا يستطيع هذا التصدي القوي بقيادة الزعامة السياسية والروحانية للمجتمع الحريدي أن يمنع حدوث أي تغيير، بشــكلٍ قاطع، ولكنه يؤجله ويبطؤه ويتحكم باتجاهاته وبزخمه،

لا سيما بين شريحة المراهقين والشباب، فهم من أبرز المؤثِرين والمتأثرين في كل ما يتعلق بالتغير الاجتماعـــي. وهنالك كتب وأبحاث مهمة تصف التغييرات الاجتماعية التي طرأت علـــى المجتمع الحريدي في العقود الأخيرة وتأثير الشـــباب عليهـــا وتصف آليات التحكم بهـــذه التغييرات.[١٠١] وتبيِّن الأبحاث أنّ من يذهب إلى المدن الكبرى التي يكثر فيها اليهود الحريديـــون يجـــد أن أحياءهم أصبحت تشـــبه الأحياء الأخرى في هـــذه المدن من حيثُ المجمعات الشرائية وأماكن الترفيه، وأنّ العائلات الحريدية، مع أولادها أو بدونهم يملأون هـــذه الأماكن، ويقصدون أماكن ترفيه الأطفال، هذا ناهيك عن الرحلات الســـياحية إلى خارج البلاد، ولا سيما إلى مدن تمكنهم من ممارسة الشعائر الدينية أثناء مكوثهم فيها، مثل مدن في أوروبا الشـــرقية وبلجيكا وفرنســـا والولايات المتحـــدة. مع ذلك تبقى أنماط السلوك واللبس أكثر احتشامًا وأقل تظاهرًا.

كذلـــك يلاحظ أنّ الصحافة الحريدية أصبحت شـــبيهة إلى حدٍ كبير من حيثُ شـــكلها ومضامينها بالصحافة العلمانية المعروفة مع المحافظة على بعض المحاذير التي تفرضها الشـــريعة، مثل غياب صور الإناث، أو الدعايات لمنتوجات غير مرغوبة، كل هذه التغييرات تتنافى مع التصور الســـائد في المجتمع الإســـرائيلي العلماني، وهو تصور تدأب القيادة الحريدية على الحفاظ عليه تجاه الخارج كي تقيّد قدر الإمكان مبادرات تغيير من الخارج. وعليه فالمجتمع الحريدي يضطر إلى أن ينفتح نسبيًا وبقدر محسوب لتأثير العالم العلماني المعاصر شرط أن لا يكون في هذا الجديد مسٌ بتعاليم الدين.[١٠٢]

ولكن ما يشـــهده الشارع الحريدي من تغييرات في الآونة الأخيرة يفوق هذا ويتجاوزه لكي يصل إلى الاعتراض على الثوابت والأســـس، وعلى احتكار القيادة الدينية الحريدية للسيطرة على كل الحياة الدينية وعلى الأماكن المقدسة مثل حائط المبكى مثلاً والمؤسسات ذات العلاقة بالشـــؤون الدينية في كل بلـــدة يهودية، وعلى الحاخامية الكبرى في القدس، كما على أحكام الأحوال الشخصية حسب الديانة اليهودية.

ومن أبرز الظواهر في المجتمع الحريدي، التي أولى لها الإعلام اهتمامًا كبيرًا، فكتبت عنها تقارير مطوّلة وتناولتها أفلام وثائقية نشـــرت فـــي التلفزيون هي ظاهرة الإقلاع عن الدين، أو ترك الشبان والشابات نمط الحياة الديني الذي ولدوا فيه وترعرعوا في حاضرته، والانتقال إلى الحياة العلمانية خـــارج تجمعات الحريديين، وبعيدًا عن بيئتهم الاجتماعية التـــي تصبح عادة معادية رافضة لهم،[١٠٣] إذ تتعرّض عائلاتهم إلى ضغط اجتماعي هائل من جهة المحيطين بها فيقطعون علاقاتهم بأبنائهم تمامًا، ويعانون جرّاء ذلك.[١٠٤]

ويُعتقـــد أن عدد الذين يقلعون عن نمط الحياة المتزمت من بين اليهود الحريديين يصل ســـنويًا إلى المئات من الرجال والنســـاء من أعمار شـــتى، مع أنّ غالبيتهم من الشـــبان

يُعتقد أن عدد الذين يقلعون عن نمط الحياة المتزمت من بين اليهود الحريديين يصل سنويًا إلى المئات من الرجال والنساء من أعمار شتى، مع أنّ غالبيتهم من الشبان والشابات.

بالنسبة لما سمي تمرد التهويد، فإنّ له أسبابا سياسية فضلاً عن المذهبية، لها علاقة بالصراع السياسي بين أحزاب الصهيونية الدينية، المقربة من حزب المفدال سابقًا، وحزب البيت اليهودي في الوقت الراهن، وبين أحزاب الحريديين.

والشـــابات. مع انتقال هؤلاء للعيـــش حياة علمانية خالصة، يبـــدأون بمواجهة مصاعب جديدة تختلف عن الأولى ولكنها لا تســـهِّل عليهم لقاءهم مع ثقافة جديدة تمامًا، أرجاؤها واســـعة وتفاصيلها كثيرة يجهلها الشـــاب الحريدي ســـابقًا حتى يكاد اللقاء معها يكون بالنســـبة له صدمة حضارية قويّـــة، ويتطلب العيش فيها إلى تهيئـــة اجتماعية من جديد تُضطره قسرًا إلى نسيان ماضيه. من بين هذه الصعوبات مثلاً القبول بمؤسسات التعليم العالي في إســـرائيل، بعد انتقالهم إلى العيش حياة علمانية، فهؤلاء لم يتعلموا مواضيع التعليم الرئيسية في المدارس (اللغة الإنكليزية، الرياضيات، المدنيات، العلوم الدقيقة الخ). بـــل قضوا جُل وقتهم في دراســـة الدين واللغة العبرية وتاريـــخ اليهود، وهذه مواضيع لا تؤهلهـــم للقبول للجامعات والنجاح في امتحانات الدخول، لهذا يُضطرون إلى الدراســـة من جديد في أطر مختلفة وعلى حسابهم الخاص، وهذا يعني تأخير دراستهم الأكاديمية والكثير من الخطط للمستقبل.[١٠٥]

وتشير الإحصائيات المتوفرة عن هؤلاء الشبان والشابات أنّ نسبة الذين يقدمون على الانتحار بينهم آخذة في الارتفاع لأنهم لا يتأقلمون مع العالم العلماني الذي هربوا إليه، ولـــم يفتح لهم صدره وأبوابه على نحوٍ كاف، كما لا يتحررون من ضغط عالمهم الماضي- محيطهم الاجتماعي السابق وعائلاتهم- وهذا يُلقي على كاهلهم عبئًا ثقيلاً جدًا دون بيئة دافئة حاضنة وداعمة جديدة.[١٠٦]

ليـــس هنالك إحصائيات دقيقة حول هذه الظاهرة التي نحن بصددها هنا، على الرغم مـــن أنّ هنالـــك مراقبين يعتقدون أنّ واحدًا من كل عشـــرة حريديين يقلع عن نمط الحياة المتدين.[١٠٧] تدل الإحصائيات الرسمية في المقابل على أنّ أعداد الحريديين في ازدياد دائم ومن المتوقع أن يشـــكلوا في ســـنة ٢٠٣٠ نحو مليون نســـمة، وذلك على اعتبار أنّ نسبة النمو السكاني لديهم ستتراوح بين ٦٪ و٧٪.[١٠٨] وليس هنالك تهديد جدي بتفكك المجتمع الحريدي بعد عقد أو ما يقارب من ذلك، كما توقع تقرير مصوّر بثته حديثًا القناة العاشرة للتلفزيون،[١٠٩] ولكن الظاهرة تنبئ بتغيير جدي لا بدّ أن تكون آثاره أوســـع في المســـتقبل، كما أنه يدل على أزمة قيادة عميقة وعدم قدرة القيادة السياسية والروحانية على مواصلة السيطرة كما كانت في الماضي.

أسباب كثيرة كانت وراء هذه الظاهرة وغيرها، ولكن السبب الأهم حسب جميع الباحثين والصحافيين، والأشـــخاص الذين تركوا مجتمع الحريديين إلى الحياة العلمانية هو دخول وســـائل الإعلام الجماهيرية بشكلٍ كبير وتغلغلها بين الشـــبان والشابات والمراهقين عبر الحواســـيب الصغيرة والهواتف الذكيّة. وهنالك شـــهادات مثيرة حول تأثير هذه الأجهزة على الحياة، وعن محاولات المجتمع الحريدي محاربة تغلغلها بكل الطرق، حتى أنّ شوارع

الأحياء الحريدية مليئة بشعارات ضخمة كتب عليها «الانترنت يسبب السرطان».[١١٠]

إضافــة إلى هــذا التغيير المهمّ بحدّ ذاته هنالك مظاهــر أخرى للاعتراض على هيمنة القيــادات الدينية الحريدية والدينيّة المتشــددة من تيارات أخرى وثوابتها الشــرعية على الحيــاة الدينيــة والاجتماعية في إســرائيل، ومن الملاحظ أن القوة الهائلــة لهذه القيادة وانفرادها في الســيطرة على محاور مهمة لم يعد قــادرًا على منع التغيير كما حدث في الســنة الأخيرة في ما أســمته وســائل الإعلام «تمرُّد التهويد»، وكذلك في كل ما يتعلق بالنســاء اللواتي يؤدين الصلاة في ساحة المبكى، وكن يعانين من الإقصاء الكامل بسبب الفصل بين الرجال والنساء.

أما بالنســبة لما سمي تمرد التهويد، فإنّ له أســبابا سياسية فضلاً عن المذهبية، لها علاقة بالصراع السياسي بين أحزاب الصهيونية الدينية، المقربة من حزب المفدال سابقًا، وحــزب البيت اليهودي في الوقت الراهــن، وبين أحزاب الحريديين، وعلى وجه الخصوص حزب الحريديين الأشــكنازيين (أغودات يسرائيل)، إضافة إلى شاس، أما بالنسبة للتغير نفســه، فإنّ مجموعة من رجال الدين الكبــار المقربين من تيار الصهيونية الدينية تكاتفوا لإقامة شــبكة محاكم دينية يكون بإمكانها القيام بإجراءات تهويد للمهاجرين غير اليهود الذين هاجروا إلى إسرائيل من دول الاتحاد السوفييتي سابقًا، وهم يعيشون في إسرائيل كيهود وبين اليهود؛ وغيرهم من المجموعات والأفراد.

وكما هو معلوم، فإنّ الحاخامية العليا في إسرائيل، ووزارة الداخلية، لا تعترفان حتى اليوم بالتهويد البديل عن طريق التيارات اليهودية غير الحريدية حتى لو تمت إجراءاته حسب الشريعة تمامًا.

إضافــة إلى رجال الديــن من تيار الصهيونية الدينيّــة، كان هنالك عدد من المنظمات الدينية الليبرالية التي عملت طويلاً في إحداث هذا التغيير، وعلى تحديث إجراءات الزواج المعقّــدة والمجحفة بحق المرأة، ولكنها لم تحقق نجاحات كبيرة بســبب القوة الكبيرة التي تمتلكها الأوســاط المتشــددة دينيًا التي تتحكم بالحاخامية الكبرى، إضافة إلى هيمنتها على الشارع الحريدي من ناحية ومن ناحية ثانية بسبب قوتها السياسية والحزبية.[١١١]

وكما هو معلوم فإنّ الحاخامية العليا في إســرائيل، ووزارة الداخلية، لا تعترفان حتى اليــوم بالتهويد البديل عن طريق التيارات اليهودية غيــر الحريدية حتى لو تمت إجراءاته حســب الشــريعة تمامًا. ويأمل رجال الدين المتمــردون أن يتوجّه إليهــم عدد كبير من الراغبين في التهويد من المهاجرين، الذين يمكن بعد ذلك أن يشــكّلوا قوة ضاغطة كبيرة على الحاخامية الكبرى التي تتحكم بها أوســاط متزمتة حريدية لإجبارها على الاعتراف بأسلوب التهويد الجديد. وعلى ضوء المعمول به في الوقت الراهن من قِبل الأوساط المهيمنة على المؤسســات الدينية التي تحتكــر عملية التهويد الوحيدة المقبولــة، التي تُعتبر مهينة للإنسان وصعبة التنفيذ، يقول الليبراليون والإصلاحيون أنّ عملية التهويد التي سيقومون بها ستكون وفقًا للشريعة من ناحية، ولكنها ستحترم كرامة الإنسان تنطلق من أن الدين

يُســر وليس عُسرا.[١١٢] وكانت هنالك محاولة إبّان ولاية الحكومة السابقة لسن قانون يحل هذا الإشــكال الديني الاجتماعي القديم، إلا أنّ المصالــح الائتلافية الحاكمة حالت دون إقرار اقتراح القانون المذكور.[١١٣]

حــذّرت الأوســاط الحريدية من خطورة هــذه الخطوة، كما كان متوقعًــا، لأنها تهدِّد ســيطرة الأوســاط الدينية المتزمتة، وعبّرت عن غضبها الشــديد من الخطوة مشككة في الالتزام الديني لكل الذين أقدموا على هذه الخطوة. وانضم إلى الأوساط الحريدية رجال ديــن متزمتون من الصهيونية الدينيّة، كان أبرزهم حاييم دروكمان، المســتوطِن المعروف بمواقفه اليمينية المتشــدِّدة، معتبرًا أنّ ســحب الشرعيّة من الحاخامية الكبرى في مسألة التهويد والقضايا الدينيّة الأخرى سوف يفتح الباب أمام كل أشكال التهويد حسب التيار الإصلاحي، وســيقود إلى تهويد ليس حسب الشريعة، ومن الممكن أن يؤدي هذا إلى ردة فعل غير متوقعة من جانب التيار الأرثوذكسي وإلى شرخ في العالم الديني.

ما المؤيدون للخطوة فكانت حســاباتهم السياســية الصهيونية قوية مثل الدينية، حيثُ قالوا إنّ التعقيدات في مسألة التهويد المتشددة كانت سببًا وراء إبعاد الكثيرين من اليهود عن إسرائيل وبقائهم عُرضة للاختلاط بالأغيار في دُول أجنبية.[١١٤]

عدد المتجندين الحريديين في ٢٠١٥، زاد بنسبة ٢٠٪ ليحقق رقمًا قياسيًا جديدًا.

بين المظاهر الأخــرى المعبرة عن حدوث تغييرات في المجتمع الحريدي تنبئ بتراجع هيمنة القيادات الدينية والسياســية لهذا المجتمع، وهو الأمر الذي من شــأنه أيضًا أن يحدث صدعًا في قدرة هذه القيادات على دوام الأوضاع القائمة، كانت مســألة الازدياد في تجنيد الشُــبان الحريديين رغم تحريم القيــادات للتجنيد، ورغم عمله القيادات الدؤوب داخل الائتلاف الحاكم الذي تُشارك فيه من أجل إلغاء أو تعليق القوانين التي تفرض عليهم التجنيد.[١١٥]

ومن الجدير بالذكر أنّ عدد المتجندين الحريديين في ٢٠١٥، زاد بنسبة ٢٠٪ ليحقق رقمًا قياسيًا جديدًا في هذا المجال، إذ وصل عددهم في ٢٠١٥ إلى ٢٤٠٠ شاب تجنّد حديثًا من أصل ٨٠٠٠ في جيل التجنيد، مقارنةً بـ ٢٠٠٠ شاب تجنّدوا في السنة الماضية.[١١٦]

وقال مصدر عسكري في قسم القوى البشرية في الجيش أنّ هنالك قدرة لدى الجيش على تجنيد عدد كبير من ظرف المجتمع الحريدي وقياداته، حيثُ أنّ تجربة الماضي تثبت هذا الأمر، وأنّ هناك خطة لدى قســم القوى البشــرية تتلخص في إتاحة الفرصة للشبان الذين يعتبرون الأفضــل والأكثر دراية من حيــثُ المعرفة والاهتمام في مجال الدين للبقاء في المدارس الدينية والتقدُّم فيها، والاكتفاء بتجنيد من يذهبون إلى المدارس الدينية دون قدرة أو رغبة في الدراسة فيها.[١١٧]

وهنالك تقديرات في الجيش مفادها أنّ عدد الشبان الحريديين الذين يتجندون سنويًا ســوف يصل إلى ٢٧٠٠ في ٢٠١٦ وإلى ٣٢٠٠ في ســنة ٢٠١٧[١١٨]، ما يدل على ارتفاع

متواصل في الأعداد، حيثُ كان عدد الشـبان الحريديين الذين تجنّدوا في سـنة ٢٠١٢، نحو ١٤٤٧، وفي ٢٠١٣ نحو ١٨٥٨ شـابًا، كما أنّ هنالك ارتفاعا بنسبة ٣٠٠٪ في عدد طالبي التجنيد.[١١٩]

حدث هـذا الازدياد في أعداد المتجندين على الرغم مـن المعارضة القوية للتجنيد في الشـارع الحريدي بقيادة الزعامة الدينية التـي قادت مظاهرات صاخبة جدًا ضد قانون التجنيد الذي سنته الحكومة السابقة بمبادرة حزب يئير لبيد (حزب يوجد مستقبل) ودعم باقـي الأحزاب العلمانية، والليكود، ثم نجحت فـي تعليق العمل به في نهاية ٢٠١٥، بعد تشـكيل الحكومة الحاليـة التي يحوي ائتلافها الضيّق على حزبين حريديين هما شـاس ويهدوت هتوراة.[١٢٠]

وتشـكل قضية رفض التجنيد نموذجًا حيًا للمخاض الذي يعيشـه المجتمع الحريدي فـي مواجهة رياح التغيير التـي وصفنا اتجاهاتها هنا، إذ إنّه علـى الرغم من الازدياد المذكور في أعداد الشـبان الحريديين الذين يقبلون التجنيد تحاول القيادة الدينية ترسيخ إجماع شبه كامل في الشارع الحريدي على رفض التجنيد ورفض قيام قلة من المتعاونين الحريديين باصطياد شبان متدينين وإقناعهم بالانضمام للجيش. وقد جاءَ في بيان نشرته «لجنـة إنقاذ التوراة» أنّ الجمهور الحريدي لن يصمت ولن يرتاح إلا بعد أن يقضي على هذه الظاهرة، ويُحارِب كل محاولات إسكات النشاطات الشعبيّة لمواجهتها.[١٢١]

تشكل قضية رفض التجنيد نموذجًا حيًا للمخاض الذي يعيشه المجتمع الحريدي في مواجهة رياح التغيير.

إجمال

رأينا في هذا الفصل، من خلال رصد بعض الظواهر الاجتماعيّة التي شغلت المجتمع الإسـرائيلي في سنة ٢٠١٥، وجهة تطوّر الثقافة السياسـيّة ومنظومة القيم السائدة في المجتمع الإسرائيلي، اللتين يلاحظ كثيرون تآكل هامشهما الديمقراطيّ أو تراجع السمات التي اعتبروها ديمقراطيّة في هذه الثقافة.

ويسـتطيع المتابع للتحليلات والتقارير الدوريّة التـي تصدرها جمعيات المجتمع المدنيّ المتخصصة بالديمقراطيّة وحقوق الإنسـان في إسرائيل أن يستشعر قلق هذه المؤسسات من تراجع تذويت قيم الديمقراطية في هذه الثقافة وانتشار مظاهر العنف واعتماده أداة وضع سياسات التعامل، سواءً على الصعيد الداخليّ أو الخارجيّ.

ويتضّـح من خلال الفصل أن هـذا النزوع نحو العنف في الثقافة السياسـيّة يزداد حدّة وخطورة وتشـعبًا داخل الدولة والمجتمع في حالة الحرب والتوتّر الأمني والسياسيّ، كما كان في العدوان الإسـرائيلي على غزة في سـنة ٢٠١٤، وكما هو الحال الآن خلال الانتفاضة الشعبيّة الحاليّة.

وينعكس التردّي الحاصل في طبيعة الثقافة السياسيّة في ازدياد حالات التورّط في الفساد، وانتشاره ليغطي كل مؤسسات الدولة والقطاع العام ويلحق بجميع الرتب والمناصب والأثر السبي الذي يتركه ذلك على مستوى المشاركة السياسيّة وعلى إضعاف ثقة المواطن بالهيئات المختلفة التي تحكم البلاد وتُضعِف شرعية الحكم من ناحية، كما أن ذلك يؤدي إلى تراجُع في مستوى الالتزام الفرديّ بالمسؤولية الاجتماعية، ما يؤدي إلى خروج المواطنين من السياسة ومن الرغبة في التأثير على ما يجري، وفي هذا ما يفيد الفساد ويقلِّل من الضغوط عن الفاسدين. وقد بيّنا من خلال تناولنا لمظاهر الفساد في سنة ٢٠١٥ أن ثمّة تساهُلا في تعامل الجمهور مع المتورطين بالفساد السلطوي سابقًا، إذ نرى هؤلاء يعودون إلى استلام مناصب رسمية وعامة، ويعودون إلى مراكزهم السابقة وإلى تعزيز قاعدتهم الشعبية بسهولة، وسط تعامل المجتمع معهم بالكثير من التغاضي. وما من شك في أن هذا يصعّب مساعي محاربة الفساد.

بيّنا في هذا الفصل أيضًا أن المجتمع الإسرائيلي ما يزال يواجه تبعات كونه مجتمع مهاجرين أشكناز أوروبيي النزعة، وأنه لم يصل درجة من التجانس الذي يضمن حدا أدنى من غياب مظاهر التعالي والعنصرية تجاه اليهود من أصل آسيوي وأفريقيّ، وعليه فما زالت التصدعات الاجتماعية التي ميّزت المجتمع الإسرائيلي حادة تنفجر أحيانًا لتتكشف حدة العنصرية، التي تعكس بوضوح حالة الثقافة السياسية السائدة ومنظومة القيم. وقد ظهر ذلك من خلال تعامل الدولة والمجتمع مع اليهود الأثيوبيين والشرقيين والفلسطينيين العرب في إسرائيل. وفي هذا السياق تطرّقنا إلى مركزية خطاب الهويّة وإلى تأثير النزعة المركزية– أوروبية اللذين يميِّزان الثقافة السائدة.

في الباب الأخير من المشهد الاجتماعيّ كنا حيال نموذج حيّ لسيرورة تغيّر وتطوّر منظومات القيم الفرعيّة السائدة في أوساط فئات اجتماعيّة معيّنة بفعل منظومات قيم خارجية لها، تكون في بعض الأحيان مرفوضة من جانب تلك الفئات. وللتوضيح، رأينا كيف تتأثر منظومة القيم الصارمة والتقليدية للمجتمعات الدينيّة المتزمتة المتشددة في إسرائيل بفعل تغلغل منظومات العولمة والحداثة، وهي سيرورة تشهدها الكثير من هذه المجتمعات، كما يشهدها مجتمع الحريديين في إسرائيل. ولا نأتي بجديد إذ نقول إن هذا التغلغل يُقاوم بشراسة وبطرق عديدة وعبر استنفار كامل لجميع الأدوات المتاحة لحراس القيم السائدة. ولكن هذه التصدي للتأثير الخارجيّ لا يستطيع، في حالات كثيرة، أن يمنع حدوث أي تغيير، بشكلٍ قاطع، وإنما يبطؤه ويتحكم باتجاهاته وبزخمه.

الهوامش:

١ بلسنر، يوحنان – صفارة خطر تطلقها الديمقراطية الإسرائيلية. نُشر بتاريخ ٢٧ تموز على الموقع الإلكتروني للمعهد الإسرائيلي للديمقراطية (آخر مشاهدة ٢٠١٤/١٢/٢١).

٢ موشي هنغبي، عملية قويّة، ديمقراطيّة ضعيفة، هآرتس ٢٠١٤–٧–٢٧ (آخر مشاهدة ٢٠١٤/١٢/٢١).

٣ أنظروا، بيان للصحافة– منظمات حقوق الإنسان في إسرائيل: مطالبة السياسيين لرجال الشرطة والجيش بالقتل بدل الاعتقال هي دعوة لهدر الدم. موقع بتسيلم، ٢٠١٥/١٠/١٤.
http://www.btselem.org/hebrew/press_releases/20151014_summary_execution_joint_statement (آخر مشاهدة ٢٠١٦/٢/١٥).

٤ عيدان يوسف. جنود وشرطيّون يسرعون إلى إطلاق النار للقتل. موقع News1، ٢٠١٥/١٠/١٥.
html.00-http://www.news1.co.il/Archive/001-D-370581 (آخر مشاهدة في ٢٠١٦/٢/١٠).
وكذلك، يوسي إيلي. باركات يدعو السكان لحمل سلاحهم الشخصيّ: «يضيف قوة». موقع Walla، ٢٠١٥/١٠/٨.
http://news.walla.co.il/item/2895438 (آخر مشاهدة ٢٠١٥/٢/١٠).

٥ وعلى الرغم من الشعور الذي تعكسه وسائل الإعلام بأن هنالك تأييدا واسعا لهذه الظاهرة إلا أنّ هنالك أوساط تُعارض هذا الأمر وتحذّر من تبعاته على المجتمع الإسرائيلي نفسه، ويؤدي إلى ارتفاع في عدد الأشخاص الذين ربما يكونون ضحية لهذا السلاح. فمثلاً ادعى تنظيم «ائتلاف المسدس على طاولة المطبخ». أنه في ظل الأجواء المتوترة التي تسود الآن، تزداد خطورة المس بالحياة مع الارتفاع في أعداد من يحملون السلاح في الدولة. في هذا الصدد قالت د. شيري أهروني من الائتلاف المذكور، أنّ قرار وزير الأمن الداخلي جلعاد أردان بمنح تسهيلات للحصول على رخصة حمل سلاح هو قرار خطير جدًا. وأضافت أنّ الدعوة إلى حمل السلاح هي بمثابة إطلاق المارد من القارورة دون التأكد من إمكانية إعادته إليها بعد ذلك. وأضافت أنّ ضمان عدم تحوُّل هذا السلاح، لاحقًا، إلى أداة لارتكاب أعمال غير قانونية، وإلى أداة عنيفة لحل النزاعات بين الناس سوف يقود إلى الكثير من الضحايا لا سيّما من النساء.

٦ زوهر شاحر ليفي. عدد طلبات الحصول على سلاح ارتفع من ١٠٠ إلى ٣٠٠٠ خلال أيام معدودة. كلكاليست، ٢٠١٥/١٠/١٨.
http://www.calcalist.co.il/local/articles/0,7340,L-3671280,00.html (آخر مشاهدة ٢٠١٥/٢/١٠).

٧ في سنة ١٩٩٦ ثار غضب اليهود الأثيوبيين في أعقاب فضيحة إبادة وجبات الدم التي تبرع بها يهود أثيوبيون، غالبيتهم مجندون في الجيش، بناء على فكرة مسبقة تربط بين الأثيوبيين وبين انتشار مرض الايدز. نظمت في أعقاب هذه الفضيحة مظاهرة صاخبة شارك فيها نحو ١٠,٠٠٠ من اليهود الأثيوبيين، جرح خلالها ٦١ شخصا بينهم ٤١ شرطيا. ومن الجدير بالذكر أن هذا السلوك لم ينتهج حيال أي مجموعة أخرى من المهاجرين اليهود.

٨ انظروا باروخ كيمرلنغ،نهاية حكم «الأحوساليم»، ٢٠٠١،ص ٧١–٦٣.

٩ انظروا معطيات دائرة الإحصاء المركزية في إسرائيل عن الأثيوبيين بتاريخ ٢٠١٥/١١/٩، على موقع الدائرة التالي: http://www.cbs.gov.il/reader/newhodaot/hodaa_template.html?hodaa=201511302 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١/٥).

١٠ وفد إلى إسرائيل في سنة ٢٠١٤، ٢١١ مهاجرا يهوديا من أثيوبيا، وهو أقل عدد من المهاجرين الذين يصلون من هناك سنويًا منذ سنة ٢٠٠٠. في سنة ٢٠١٣ مثلا كان عدد المهاجرين من أثيوبيا ١٣٥٥ مهاجرًا، حسب معطيات دائرة الإحصاء المركزية في إسرائيل.

١١ هيلا فايسبرغ. مهاجرون أكاديميون من دول الاتحاد السوفييتي يتقاضون أجرًا يفوق أجر الأثيوبي بـ ٦٦٪. The MarkerK، ٢٠١٢/١٢/١٧. ومن الجدير بالذكر أن الأوضاع لم تختلف كثيرًا عن تلك الفترة.

١٢ هيلا فايسبرغ. قالوا لي في الجامعة: «كل الأثيوبيين الذين باشروا التعليم للحصول على لقب تركوا تعليمهم، وأنت ستتركين». The http://www.themarker.com/career/1.2286996_2014/4/Marker_3 (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١٠/١٢).

١٣ تعقيبًا على هذه الأوضاع، لخصّت ناشطة اجتماعية أثيوبية بارزة تتخصّص في مجال علم النفس العلاجي حالة الأثيوبيين بالقول: لن يكون هنالك حل إذا لم يواجه المشغلون عنصريتهم وتمييزهم، ويعترفوا بوجودها، بعد ذلك فقط يمكن البدء بإجراء تغيير. إنّ ما يدفعني إلى اليأس هو الشعور بأنه مهما فعلنا فإنّ ذلك لا يغيِّر شيئًا– مهما اجتهدنا، وكنا أخيارًا صالحين، وحصدنا الألقاب وقدمنا التضحيات للدولة – فأبدًا سينظرون إلينا من خلال لون البشرة، قبل أي شيء آخر.

١٤ شوكي هندلز. الشعور بالتمييز في صفوف العمل والباحثين عن عمل، وتنوّع التشغيل في أماكن العمل. تقرير وزارة الصناعة والتجارة والتشغيل، شباط ٢٠١٣. وكذلك: هيلا فايسبرغ. الأثيوبيون هم الأقل تفضيلا في نظر المشغلين. The Marker، ٢٠١٣/٣/٦
http://www.themarker.com/career/1.1952167 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/٢/٣).

١٥ فلورا كوخ دافيدوفتش. الجريمة في أوساط أبناء الشبيبة المهاجرين. تقرير لمركز البحث والمعلومات في الكنيست، ٢٠١١/٦/١٩
pdf.https://www.knesset.gov.il/mmm/data/pdf/m٠٢٩٣٩ (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١٢/١٥).

١٦ وصلت نسبة العرب من التورط في جرائم القتل إلى ٥٩٪، الاتجار بالمخدرات ٢٧٪، الاعتداءات على أملاك الغير وبضمنها السرقة ٣٢٪، السطو المسلح ٤٧٪، محاولات قتل ٥٥٪، وإشعال نيران ٥٨٪. ومن المهم أن نذكر هنا أن اهتمام الشرطة بنشر وإشاعة هذه الإحصائيات جاء ضمن التحضيرات للإغارة على القرى والمدن العربية بحجة إخضاعها للقانون بعد عملية تل أبيب التي قام بها شاب عربي من داخل الخط الأخضر. كذلك، يجب التوضيح أنه يجب قراءة هذه الإحصائيات في سياقها الاجتماعي وفهم أسباب انتشار الجريمة، وليس كما تقرأها أوساط إسرائيلية ترى في العرب وإلى حد ما في الأثيوبيين منحرفين بالفطرة.

١٧ انظروا يانيف كوبوفتش. نصف أبناء الطائفة الأثيوبية... (مصدر سابق).

١٨ شيرلي سايدلر، ينيف كوبوفتش. احتجاج اليهود الأثيوبيين، عشرات الجرحى والمعتقلين في مواجهات في ساحة رابين. موقع هآرتس، ٢٠١٥/٥/٣. http://www.haaretz.co.il/news/education/1.2627658 (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١٠/١٢).

١٩ إيلان ليئور. مظاهرة اليهود الأثيوبيين: الشرطة صدّت مئات المتظاهرين الذين حاولوا إغلاق شارع أيلون. موقع هآرتس، ٢٠١٥/٥/١٨.

http://www.haaretz.co.il/news/education/.٢٦٣٩٢٣٩,١(آخر مشاهدة ٢٠١٥/١٠/١٢).

٢٠ في أعقاب الاحتجاجات تلقى الأثيوبيون الكثير من الوعود التي لم يطبق منها حتى اليوم سوى القليل، ففي بداية أيلول قدمت إلى لجنة الاستيعاب في الكنيست خطة تشمل الكثير من التفاصيل التي تثبت من معاناة الأثيوبيين حتى اليوم من عزلهم في «غيتوات» من جهة أخرى. ولكن هذه الوعود لم تطبق، أنظروا:

دانا يركتسي. الحكومة تخطّط لإلغاء غيتوات اليهود الشرقيين»، والمعارضون يقولون: «هذا منبتّ الصلة بما يدور على الأرض». موقع Walla، ٢٠١٥/٧/٦. http://news.walla.co.il/item/2870044 (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١٢/١٩).

٢١ أنظروا : شيرلي سايدلر، ينيف كوبوفتش. احتجاج اليهود الأثيوبيين، عشرات الجرحى والمعتقلين في مواجهات في ساحة رابين. (مصدر سابق). تنتشر ادعاءات كهذه من طرف أوساط يمينيّة وأخرى مقربة من التيارات المركزية في المجتمع الإسرائيلي في كل حالات الاحتجاج على سياسات الحكومة وعلى أنماط تصرف المجتمع تجاه الفئات الضعيفة مثل العرب، اليهود الحريديين، الأثيوبيين، اليهود الشرقيين وغيرهم.

٢٢ شيرلي سايدلر. اتجاجات الأثيوبيين تصل إلى تل أبيب: « الجيل الصاعد محتقن ويريد أن يفرّغ». موقع هآرتس، ٢٠١٥/٥/٣. http://www.haaretz.co.il/news/education/1.2627515 (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١٠/١٢).

٢٣ وفي هذا السياق، تقول مدير «الجمعية الإسرائيلية من أجل يهود أثيوبيا» زيفا مكونيناغو «ليس هنالك أي مجموعة أخرى (غير الأثيوبيين)تعرضت لهذا العدد من الضربات وواصلت صمتها. تلقت الضربات وعملت كل ما في وسعها من أجل الصمود». وأضافت: «جيد أنّ هذا الصمت قد وصل إلى نهايته الآن. احتجاج الأيام الأخيرة وضع مرآة أمام المجتمع اليهودي. لم يفضح الاحتجاج الرطانة الفارغة التي تقف وراء الشعارات بشأن استيعاب الهجرة، فحسب، وإنما عرّى كذلك الإنكار المألوف لتفشي كراهية الآخر في المجتمع الإسرائيليّ. وقالت مكونين راغو: «ومن هذا المنطلق فالاحتجاج لن يستطيع ولا يجب أن يكون مقصورًا على ذوي الأصل الأثيوبي فقط».

٢٤ أور كشتي. من أرجاء البلاد جاء الشبان إلى مظاهرة تل أبيب التي تحولت إلى مواجهة مع الشرطة. «ليس هنالك أي مجموعة أخرى تلقّت كل هذه الضربات والتزمت الصمت، وها هو الصمت انتهى». شهادات من الساحة. موقع هآرتس، ٢٠١٥/٥/٤. http://www.haaretz.co.il/news/education/.premium-1.2628193 (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١٠/٢٢).

٢٥ لا نقصد هنا أن هذا الأمر ممكن الحدوث، بل نورده لتوضيح الفرق بين الأجيال في تصور الذات وفي فهم مكانتهم لا سيّما بخصوص المواطنة التي تنعكس في كل جوانب الحياة، وهو ما حدث مع اليهود الشرقيين من قبل، وأظن أن بعض ملامحه تتكرّر مع الفلسطينيين العرب المواطنين في إسرائيل، مع التأكيد على أنهم أصحاب الأرض الأصليين بخلاف فئات المهاجرين المذكورة. اختلف الجيل الثاني والثالث من الفلسطينيين في إسرائيل عن الجيل الأول في التعامل مع الدولة وفي أساليب الاحتجاج ووتيرته.

٢٦ في هذا الشعار تلميح إلى ضعف الطبقة الوسطى التي يكثر السياسيون ورجال الاقتصاد من إيلائها اهتمامًا بالغًا بعد احتجاجات شارع روتشيلد ٢٠١١، حيث غادر كثيرون من أبناء هذه الطبقة إلى أوروبا بسبب غلاء المعيشة، وفي هذا هروب من المسؤولية عن ما يجري وتفضيل للمصالح الذاتية على المصالح العامة، حسب رأي البعض.

٢٧ أنظروا، أور كشتي. من أرجاء البلاد.....(مصدر سابق).

٢٨ دانا يركتسي. الجندي الأثيوبي المضروب يقاضي الشرطة: «الدافع للاعتداء عنصريّ. موقع Walla، ٢٠١٥/٥/٢٦. http://news.walla.co.il/item/2857834 (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١٠/٢٠).

٢٩ يانيف كوبوفتش. نصف أبناء الطائفة الأثيوبية يظنون أن الشرطة تستهدفهم دون سبب. موقع هآرتس، ٢٠١٤/٦/١٥. http://www.haaretz.co.il/news/education/.premium-1.2347969 (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١١/٢٠).

٣٠ انظروا التقرير الصادر في حزيران ٢٠١٠ عن تشغيل العمال الأجانب في إسرائيل، على موقع المعهد الإسرائيلي للديمقراطية: www.idi.org.il

٣١ – انظروا فصل المشهد الاجتماعي في تقرير مدار الاستراتيجي لعام ٢٠١١؛ وقد خُصص كله لتحليل موجة الاحتجاج الشعبي، وما أسفرت عنه من لجان ومشاريع حلول لمواجهة الأزمات المختلفة.

٣٢ – كان الوزير يوآف غالنط، وزير الإسكان أبرز الوزراء المحتجين على هذا الفيلم، وقد طالب بإلغاء المناقصة وحرمان الشركة من الاستثمار في أراضي الدولة بسبب عنصريتها العلنية. انظروا: نمرود بوسو، بلدات للاشكناز فقط: «ثمّة علاقة بين الفيلم القصير المثير للغثيان، وبين إقامة ٥ بلدات جديدة في النقب».موقع www.themarker.com/.2015/2/the marker_1 realestate/1.2788904 (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١٢/٥).

٣٣ – عن مظاهر العنصرية وأساليب مواجهتها من قبل اليهود الشرقيين: نعاما نجار. بين أفرجيل وأوبنهايمر: نظرة إلى الأفلام المتفجرة للصهيونية الدينية. موقع هعوكتس. ٢٠١٥/١٢/٢١.
http://www.haokets.org/2015/12/21/_D7%91D7%A8%D7%90%D7%9F-%D7%99%D7%91%D7%D7%A4%D7%95%D7%A4%D7%A0%D7%90%D7%9C%D7%9C-%D7%99%D7%92%D7%B3%D7%94%D7%9C-%D7%98-%D7%A2%D7%91%D7%9E%D7%9E%D7%A8-%D7%99%D7%99%D7%99%95%D7%A0%D7%98%D7%A1%D7%A8%D7/ (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١/٥).

٣٤ – عن لجان القبول وقانونيتها وأهدافها، انظروا موقف جمعية حقوق المواطن في إسرائيل. على موقع الجمعية https://www.acri.org.il/he/5470 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١/٥).

٣٥ ياسمين غويطا. «الشرقي متلعثم، بشع ويهدد هدوء وسكينة العائلة الأشكنازية». موقع www.2015/2/The Marker1.themarker.com/news/1.2788367 (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١٢/١٥).

٣٦ نفس المصدر.

٣٧ نعاما نجار. بين أفرجيل وأوبنهايرم...» مصدر سابق.

٣٨ على سبيل المثال، فيلم دعاية لشركة مسحوق حليب الأطفال متيرنا، الذي كان فيه جميع الأطفال والأمهات وغيرهم من ذوي البشرة البيضاء،

بشـــكل لافت، وهو ما أثار موجة احتجاج كان نتاجها إخراج أفلام تنتقد هذا التوجه. لمشـــاهدة أحد هذه الأفلام: http://mekomit.co.il/stream/%D7%A6%D7%A4%D795%9C%D7%A4%D7%A8%D7%A1%D7%94-%D7%91%D7%95%D7%92%D7%%D7%AA%D794%98%D7%A8%D7%A0%D7%9E%D7%9E%D7%AA-%D7%%D7%9F-%95%D7%98%D7%95-%D7%A1%D7%A8%D7%A8/ (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١/١٥).

٣٩ جاكي خوري. تقرير الائتلاف لمناهضة العنصرية في إسرائيل: ارتفاع جديد في مظاهر العنصرية في البلاد. هآرتس، ٢٠١٦/٧/١٤. www.haaretz.co.il/education/1.2683061 (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١/١٥).

٤٠ مـــن الجديـــر بالذكر أنّ التقرير الصادر في ســـنة ٢٠١٥، يتطرق في الأســـاس لما حدث في ٢٠١٤، ولكنه يتوقـــع ازديادًا في مظاهر العنصرية في المستقبل لتفاقم الأوضاع التي تؤدي إلى ازدياد كهذا.

٤١ مارست قوى سياسية في الكنيست، على رأسها القائمة العربية المشتركة، ضغوطًا لإقامة ائتلاف لمحاربة العنصرية، أعلن عن بدء عمله في تموز ٢٠١٥، وترأســـه عضو الكنيســـت عايدة توما من المشتركة وميخال بيران من المعسكر الصهيوني، وقد جرى التعبير عن القلق من مظاهر العنصرية المتزايدة في مداولاته. انظر جاكي خوري. تقرير الائتلاف...مصدر سابق.

٤٢ معاينة هذا الفيلم الدعائي القصير، انظروا موقع youtube:
www.youtube.com/watch?v=ui-vAmx41-A.

٤٣ من بين هؤلاء الفنان دودو توباز، الذي أطلق على الشـــرقيين أســـماء وتسميات مهينة في السبعينيات خلال معركة الانتخابات التي فاز فيها حزب الليكود لأول مرة في تاريخه.

٤٤ كان من بين المســـتنكرين للخطاب الذي اعتُبر عنصريًا ضد اليهود الشـــرقيين في الأساس، شخصيات سياسية مثل شيلي يحيموفتش وإســـحق هيرتسوغ من قيادة المعســـكر الصهيوني ونتنياهو ونفتالي بينيت، وكثيرين من الناشطين السياسيين والاجتماعيين، ووسائل الإعلام في الشارع الحريدي.

٤٥ أنظر موســـوعة ويكبيديا : خطاب الحفنة. https://he.wikipedia.org/wiki/%D7%A0%D7%9E%D7%A5%95%D7%94%D7%A7%D7%%D7%90%D7%95%D7%9D_%D7%A9%D7%A2%D7%AA (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١/٣٠).

٤٦ – انظروا مقالاً يلخص الادعاءات الأساســـية دفاعًا عن غربوز: رونا برانس. ماذا يريدون من غربوز؟. موقع هآرتس، ٢٠١٥/٣/١٠، www.haaretz.co.il/opinions/.premium-1.٢٥٨٥٨٩٣، ١ (آخر مشاهدة ٢٠١٥٢/١٢/٢٠)

٤٧ – إيال ليفي: مقبلي «المزوزات» هني زبيدة يتحدث عن المواجهة مع غربوز والنضال من أجل العدالة الاجتماعية. موقع معاريف. www.maariv.co.il/news/israel/Article-469045(آخر مشاهدة ٢٠١٥/١٢/٢٠).

٤٨ – تومر فرســـيكو. غربوز، هنا ليس أوروبـــا. موقـــع هآرتس، www.haaretz.co.il/premium-1.2586687/3/11 2015 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١/٣٠).

٤٩ – تومر فرســـيكو. في أعقـــاب الانتخابات، المفتاح لفهم تحليق نتنياهو عاليًا في الأيام الأخيـــرة لمعركة الانتخابات. الصفحة الخاصة بتومرفرنسيكو http://tomerpersico.com/2015/03/19/post_elections/ (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١/٣٠).

٥٠ – رفيطال بلومفيلد. أســـباط إســـرائيل – حتى في صندوق الاقتراع: لماذا في اللحظة الحاســـمة «تعود إلـــى البيت». موقع walla. ٢٠١٥/٣/١٩.
http://elections.walla.co.il/item/2839061(آخر مشاهدة ٢٠١٥/١٢/١٩)

٥١ – انظروا أودي ليبل. تعالوا إلى الليكود. حان الوقت لإغلاق البيت اليهودي.
موقع nrg. 21 /3/2015_Art2/online/1/www.nrg.co.il/684.810/html. (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١٢/١٩)
وكذلك أبيعاد كلاينبرغ. اضطراب في التركيز. مدونة البروفســـور ابيعاد كلاينبرغ ٢٠١٥/٣/١١. http://aviadkleinberg.com/2015/03//11/%D7%A4%D7%A8%D7%A2%D7%AA-%D7%A7%D7%A9%D7%D7%91%94/ (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١٢/١٩).

٥٢ رفائيل ليفي، اليســـار متكبر، ومتغطرس. موقع قناة ٧ (٢٠١٥/٦/١٧). http://www.inn.co.il/News/News.aspx/ 300547 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١/١٥).

٥١. موقع nrgشاهدوا بروفسور حتصروني يُطرد من القناة الثانية بسبب ملاحظة عنصرية بغيضة. ٢٠١٥/٣/٢٢.

٥٣ . موقع nrgشاهدوا بروفسور حتصروني يُطرد من القناة الثانية بسبب ملاحظة عنصرية بغيضة. ٢٠١٥/٣/٢٢.
html.89/684/www.nrg/co.il/online/16/ART2 (آخر مشـــاهدة ٢٠١٦/١/٢٠). وكذلك حوفي عاموس. الشرطة تفحص ما إذا شملت أقوال حتصروني تحريضًا. موقع nrg– ٢٠١٥/٣/٢٣. www.nrg/.co.il/online/1nrg’ Art2 / 685/132.

٥٤ جدعون ليفي. الاستنتاج من وراء نشر نتائج العينات: يجب استبدال الشعب. موقع هآرتس ٢٠١٥ /٣/١٨ – www.haaretz.co.il/news/elections/premium-1.2592862

٥٥ انظـــروا مقالاً للشـــاعرة والصحافية بتئيـــل كولن يطرح كل هذه التصريحات والتهم وأخطارها، بتئيـــل كولن. حزب القبيلة البيضاء تتمســـك بســـذاجة وحماقة الحشـــود. موقـــع nrg. 24 ,3 ,2015. www.nrg.co.il/online/1/ART2/685/468.html (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١/٢٠).

٥٦ حاييم لفنسون. في أعقاب الغضب على مقعده المضمون، أوحانا يعلن أنه لن يتنافس في قائمة البيت اليهودي. هآرتس ٢٠١٥/١/٢٩. http://www.haaretz.co.il/news/elections/.premium-1.2551762 (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١٢/١٩).

٥٧ – جلعاد مورانغ. ليبرمان يطلق حملته الانتخابية: «أريئيل لإسرائيل وأم الفحم إلى فلسطين». موقع YNET. ٢٠١٥/١/١٥. http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4615378,00.html (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١٢/١٥).

٥٨ أُدين بعدة تُهم و جهت إليه ودخل السجن بتاريخ ٢٠١٦/٢/١٤ ليقضي مدة تقرب من سنتين. عن قضايا الفساد التي تورّط بها أولمرت وادعاءاته بشأن براءته، أنظروا: يانيف كوبوفتش. رئيس الوزراء السابق إيهود أولمرت يدخل السجن لقضاء فترة سجنه. موقع هآرتس، ٢٠١٦/٢/١٤. http://www.haaretz.co.il/news/law/1.2851571 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/٢/١٤).

٥٩ وكان من أبرز السياسيين الذين نُسب إليهم ارتكاب أعمال مشينة من الاعتداء الجنسي ضد نساء عملوا معهم أو تحت إمرتهم الوزير سيلفان شالوم، أحد أبرز الشخصيات القياديّة في حزب الليكود، وقد اضطر إلى الاستقالة من منصبه كوزير الداخلية بعد كشف الأمر في وسائل الإعلام. سبقه إلى الاستقالة بسبب ارتكاب نفس المخالفات الجنائية عضو الكنيست اليميني من حزب البيت اليهودي يانون مجال/ الذي كان قبل انضمامه إلى الحزب صحافيًا معروفًا ومديرًا لموقع YNET واسع الانتشار في إسرائيل.

٦٠ أنظروا تقريرًا موسعًا للصحافي أورن دوري يتطرق بتوسّع إلى تقرير مراقب الدولة الأخير، وبضمنه فصل الفساد في الحكم المحلي في إسرائيل، وهناك فصل آخر عن ضرورة منح الحماية القانونية لكل من يكشف مظاهر فساد من الموظفين في سلك الدولة والقطاع العام. نُشر في The Marker في ٢٠١٥/١١/٢٩. http://www.themarker.com/news/mevaker (آخر مشاهدة ٢٠١٦/٢/٢).

٦١ أصدر المعهد سلسلة من الكتب والأبحاث التي تناولت الفساد في إسرائيل، كان أهمها جزآن حول الفساد السلطوي للباحث دورون نبوت، تناول الأول الجوانب النظرية للمسألة وتاريخ الفساد عامة وفي إسرائيل، على وجه الخصوص. أما الثاني فتناول كبرى قضايا الفساد في إسرائيل حتى ٢٠١٢. ويمكن قراءة فصول من الكتاب الأول وقراءة الجزء الثاني برمّته على موقع المعهد على العناوين التالية (على التوالي):
http://www.idi.org.il/media/251301/Sh_111-166.pdf
http://www.idi.org.il/media/2447100/00045112.pdf

٦٢ للمقارنة مع دول أخرى، وعلى فترات سنوات سابقة أنظروا corruption perceptions Index 2014: Results على موقع الشفافية العالمية: https://www.transparency.org/cpi2014/results (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١١/١٨).

٦٣ غالي غينات. مؤشر الفساد: إسرائيل في الموقع الـ ٢٤ بين الدول المتطورة. موقع Walla، ٢٠١٤/١٢/٣
http://news.walla.co.il/item/2807252 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١/١٢).

٦٤ في استطلاعات الرأي المفصّلة حول الفساد كانت النتائج تبيّن، عادة ولا أظن أن الأمر اختلف الآن، أن أكثر المؤسسات فسادا هي الأحزاب الوزارات والكنيست، وأن السلوك الرسمي الذي يعتبر الأشد فسادا هو استغلال المال العام للمصالح الخاصة،كما أن تعيينات المقربين الذين يفتقدون إلى الكفاءات اللازمة في مناصب رسمية هو أيضا سلوك فاسد، كذلك الأمر بالنسبة لتلقي الرشوة وإخفاء المعلومات عن الجمهور وتلقي التبرعات الممنوعة. وكان نسب الذين يعتبرون أن السلطات المحلية وشركات التشغيل ووسائل الإعلام والشرطة تدار بشكل فاسد تراوح حول ٣٠٪ من الجمهور

في المقابل هنالك إجماع بين الجمهور على أن الجيش والمنظومة الأمنية تدار بشكل سليم جدا، وأن الفساد لم يطلها.

٦٥ استطلاع القناة الثانية: ٧٢٪ يعتقدون أن الدولة فاسدة. موقع غلوبس، ٢٠١٦/١/٨.
http://www.globes.co.il/news/article.aspx?did=1001094024 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/٢/١٢).

٦٦ أنظروا استطلاع الكلية الأكاديمية بيت بيرل حول الفساد ورأي الجمهور حول الأمر، على موقع الكلية التالي: http://www.beitberl.ac.il/about/events/sikur/hevra_hinuch2010/seker/pages/seker3.aspx (آخر مشاهدة ٢٠١٦/٢/١).

٦٧ ملخص استطلاع منظمة الشفافية العالمية في: ليئور ديطل. ٧٣٪ من الإسرائيليين يقولون إن هيئات السلطة تشجع وتدفع قدمًا مصالح أجنبية. The Marker، 9.7/2013. http://www.themarker.com/news/1.2066785 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١/١٤).

٦٨ شوكي سديه، حجاي عميت، ليئور ديكل، نمرود بوسو، المواد التي يتشكل منها الفساد: الحلبات المركزية لقضية إسرائيل بيتنا ذي ماركر. ٢٠١٥/١/٢. http://www.themarker.com/markerweek/1.2527853 (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١١/٢٥).

٦٩ شبهات فساد: إيجاد ملايين في حساب بنكي لأحد مقربي ليبرمان. أخبار القناة الثانية، ٢٠١٥/١/٤. http://www.mako.co.il/news-law/crime-q1_2015/Article-55b502d1064ba41004.htm (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١١/١٠).

٧٠ مثلاً جمعية «أيليم»، التي قامت لتعزيز الاستيطان والمسؤولية الاجتماعية في النقب والجليل، في بدايتها. أقام مؤسسو هذه الجمعية تجمعًا صغيرًا، من الأكواخ الصغيرة في النقب لكي تُشكّل نواة لإقامة قرية طلابيّة يعيش فيها طلاب الجامعات في منطقة النقب، ثم انتقل نشاط هؤلاء ليغطي إسرائيل بكاملها، وهنالك أيضًا وحدة الاستيطان في الهستدروت الصهيونيّة، العالميّة، وهي وحدة مستقلة في الهستدروت تشكّل نواة لإقامة قرية طلابيّة يعيش فيها طلاب الجامعات في منطقة النقب، ثم انتقل نشاط هؤلاء ليغطي إسرائيل بكاملها. وهنالك أيضًا وحدة الاستيطان في الهستدروت الصهيونية العالمية، وهي وحدة مُستقلة في الهستدروت تُشكّل جسمًا تنفيذيًا كحكومة إسرائيل في ما يتعلق بإقامة المستوطنات في الضفة الغربية، والجولان والنقب والجليل. وكان رئيس هذه الوحدة عند قيام نائبة الوزير كيرشنباوم بنقل مبلغ ٦,٥ مليون إليها من أعضاء إسرائيل بيتنا، وكان يتوقّع منه مقابل ذلك دفع رشوة.

شوكي سديه، ليئور ديطل. المواد التي صنع منها الفساد، جمعية إيليم متعلقة بالسلطة تعلق الطفل بمرضعته، وتخصص لها ميزانية هائلة. ذي ماركر، ٢٠١٥/١/٢. http://www.themarker.com/markerweek/1.2527896 (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١١/٢٥).

٧١ آبي بار ايلي. الابنة، المستشار والمحشِّد– أسلوب التوظيفات في إسرائيل بيتنا. ذي ماركز ٢٠١٥/٣/١٥.
http://www.themarker.com/dynamo/1.2589300 (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١١/٢٥). في هذا التقرير، كشف الصحافي بارايلي عن سلسلة طويلة من حالات تشغيل المقربين من قيادة الحزب وأبنائهم وبناتهم في مؤسسات حكومية وعامة تابعة للوزارات ولأجسام صهيونية في دخل البلاد وخارجها، أحيانًا دون توفر الكفاءات اللازمة، أو دون فحص يؤكد وجود المواصفات والكفاءات اللازمة لهذه الوظيفة الحكومية أو تلك.

وكذلك عن تشغيل ابنة نائبة الوزير كيرشنباوم وآخرين، أنظروا شوكي سديه. بقرتي موّلت ميظال كيرشنباوم. The Marker، 2015/1/3. http://www.themarker.com/markerweek/1.2527879 (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١١/١٣).

٧٢ للاطلاع على تقارير مراقب الدولة حول البلديات والمجالس المحليّة والقطرية ومواطن الفساد فيها: http://www.mevaker.gov.il/he/Reports/Pages/269.aspx?AspxAutoDetectCookieSupport=1 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/٢/١٢).

٧٣ أرييه أفنيري، عفن في الحكم المحلي – الرشوة – كارثة عامة. (الفصل الثاني)، موقع أرييه أفنيري على الانترنت: http://avneri-a.co.il/printVerBlog.asp?id=894 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١/١٠).

٧٤ حين معنيت. الفساد في الحكم المحلي، هي وباء فيروس معدٍ، موقع غلوبس. ٢٠١٣/٦/١٠.
www.globes.co.il/news/article.aspx?did=1000851066. (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١٢/٢٠).

٧٥ ينيف كوبوفتش، ألموغ بن زخري، إيتمار شمعوني، رئيس بلدية أشكلون، اعتقل بتهمة الاغتصاب وتلقي الرشوة، موقع هآرتس، 2016/1/5. 2815290 ,www.haaretz.co.il/news/law/1 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١/١٧).

٧٦ حين معنيت، المعتقل بسبب ارتكاب مخالفات فساد وعلاقات جنسية: رئيس السلطة المحلية ماطي يهودا. موقع غلوبس. 21.12.2015www.globes.co.il/news/article.aspx?did=1001089738

٧٧ عادي حشموناي. لحياني مثل في السجن: «أشعر مثل عّداء ماراثون وصل إلى اللحظة الأخيرة». موقع 2015/walla2712. News.walla.co.il/item/2919132 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/٢/٥).

٧٨ تسفيكا غرونيخ. اليوم: قراءة لائحة اتهام ثانية ضد شمعون غابسو. موقع كيكار هشبات. ٢٠١٥/٦/٧.
www.kikar.co.il/172579.html (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١/٥).

٧٩ شوكي سديه وآشر شخطر. نحو ٦٠ رئيس سلطة محلية يخضعون للتحقيق بتهم الفساد – لماذا اذًا ينتخبون من جديد؟. ذي ماركر، ٢٠١٣/٥/٣١. www.themarker.com/misc/article-print-page/1.2034420 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/٢/٣).

٨٠ أحد هؤلاء الضباط المستقلين هو نيسيم مور نائب القائد العام للشرطة، وقد اتهم بارتكاب فعلة مشينة أخلاقيًا، في مجال العلاقات الجنسية، وحاول طمس أدلة تدينه، كما اتهم بارتكاب الغش، والاخلال بالثقة، والتحرش الجنسي ضد ست شرطيات عملن تحت إدارته، ضابط آخر هو نيسو شاحام، قائد شرطة منطقة القدس سابقًا وأحد أبرز قيادات الشرطة في العقدين الأخيرين، وقد ارتكب هو الآخر جرائم أخلاقية –جنسية ضد عدد من الشرطيات، مستغلاً صلاحياته وقوة المنصب، كذلك الأمر بالنسبة للضابط كوبي كوهن، قائد شرطة منطقة الضفة الغربية، وتُدعى حسب تسميتها الرسمية في إسرائيل «منطقة يهودا والسامرة – شاي». وقد أقدمَ هو الآخر على ارتكاب مخالفات، والإخلال في مجال التحرش الجنسي.

ولا تنتهي القائمة هنا لتشمل أيضًا ضباطا كبارا آخرين، مثل قائد شرطة منطقة الشاطئ في إسرائيل، حجاي دوتان، وقائد شرطة منطقة النقب سابقًا ثم منطقة القدس في السنوات ٢٠١٢–٢٠١٤، يوسي فرينيطي. وإذا كانت التجاوزات قد طالت المُراقِب الأعلى درجة في الجهاز فليس غريبًا أنّ بعضًا منضُباط الدرجة الثانية أيضًا تورطوا في جرائم مشابهة، نائب قائد منطقة المركز، وقائد مركز شرطة الخضيرة، وقائد شرطة مدينة بئر السبع، والقائمة تطول.

٨١ أنظروا تعقيب قسم التحقيقات الداخلي في الشرطة أوري كرميل عن خطورة هذه المخالفات على جهاز الشرطة وتهديدها بتدميره.
رئيس قسم التحقيقات الداخلي في الشرطة يصرح: «تجري في جهاز الشرطة عملية تنظيف للاسطبلات». موقع nrg، ٢٠١٥/١/٢٧.
html.238/672/http://www.nrg.co.il/online/1/ART2 (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١٢/٢٣).

٨٢ للاطلاع على قائمة طويلة من المتهمين والمُدانين في صفوف الشرطة: ينيف كوبوفيتش. اللواء كوبي كوهين الذي اتُهم بالتحرش الجنسي لن يُحاكم. موقع هآرتس، ٢٠١٥/٣/٣٠.
www.haaretz.co.il/news/law/.premium-1.2603377 (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١٢/٥).

وكذلك ينيف كوبوفيتش. ضابط سابع برتبة لواء يتورط: قائد في منصب رفيع في الشرطة تحرش جنسيًا بشرطيات عملن تحت قيادته، موقع هآرتس، ٢٠١٥/٢/٤. www.haaretz.co.il/news/law/.premium-1.2557194 (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١١/٣٠).

٨٣ أخبار nrg. رئيس قسم التحقيقات الداخلي في الشرطة: «تجري في جهاز الشرطة عملية تنظيف للاسطبلات». موقع nrg، ٢٠١٥/١/٢٧. html.238/672/http://www.nrg.co.il/online/1/ART2 (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١٢/٢٣).

٨٤ أنظروا: شهادة شرطي تحقيق حول الثقافة التنظيميّة في الشرطة. على موقع «صناعة معرفة– مدوّنة د. بنحاس يحزقيلي»، ٢٠١٥/٥/٢٤.
http://www.xn--7dbl2a.com/2015/05/24/%D7%A2%D7%A8%D7%95%D7%AA-%D7%A9%D7%93%D7%A8%D7%9C-%D7%95%D7%AA-%D7%A9%D7%9C-%D7%A9%D7%A8%D7%99%D7%AA-%D7%95%D7%A0%D7%92%D7%90%D7%A8%D7%94%D7%99%D7%98%D7%A8%D7%AA%D7%A9%D7/ (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١٢/١٠)

ومن المعروف أن أشد التقارير لهجة بشأن الثقافة الفرعية العنيفة والعنصرية داخل الشرطة كان تقرير لجنة أور الرسمية التي عُينت لفحص أحداث انتفاضة الأقصى داخل الخط الأخضر وقتل ١٣ مواطنا عربيا في إسرائيل.

٨٥ عن بعض الأبحاث والمقاربات التي تناولت ظاهرة التحرش الجنسي وأسبابها في أجهزة فرض القانون، انظروا: إينا ليفي وسارة بن دافيد. ظاهرة التحرش الجنسي وموقعها في المنظمة العسكرية، إصدار مكتب مستشارة قائد الأركان لشؤون النساء، وقسم القوى البشرية في الجيش.
www.ariel.ac.il/images/stories/site/personalSites/Sara Ben David/mamrim2/b16.pdf (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١/٣)

٨٦ علينا أن نؤكد هنا أن البحث أوليّ اعتمد منهجيّة الاستطلاع الألكتروني. وقد صرح الباحثون بأن البحث لا يدّعي الشمولية، إذ إنه لم يتطرّق إلى جميع القضايا التي أشغلت الشرطة في ٢٠١٥، وفي بعضها حققت الشرطة نجاحات مثل مكافحة الجريمة المنظمة. هذا مع العلم أن أبحاثًا أكثر جديّة أجريت في الماضي، على نحو دوريّ، دلّت على نتائج مشابهة حول تراجع الثقة بجهاز الشرطة مقارنة بأجهزة أخرى.

٨٧ للاطلاع على نتائج البحث، انظروا: زيف كريستال. بحث: ٣٠٪فقط من الجمهور لديهم ثقة بالشرطة، موقع بوسطا، ٢٠١٥/٨/١٠.
http://www.posta.co.il/widgetkit/%D7%9E%D7%93%D7%A8%D7%95%D7%99%D7%9C-2/polic%D7%97%D7%90%D7%97%D7%A7%D7%A8_%D7%A8%D7%A7_30_%D7%9E%D7%e/6316_%D7

%20_20%95%D7%A8%91%D7%99%D7%94%D7%A6%D7%9E%D7%%20%D7_96%95%D7%9E%D7%%91%D7%9D_%20%D7%99%D7%99%D7%A0%D7%9E%D7%90%D7%9E%D7%%D794%98%D7%A8%D7%A9%D7(آخر مشاهدة ١٠/١/٢٠١٦).

٨٨ وكان بحث شامل أجرته الشرطة، ونشرته على موقعها قد أكد على ضرورة رفع مستوى ثقة الجمهور بالشرطة، وتطرّق إلى الإسقاطات السلبية لانعدام الثقة أو تدنيها. كما أشارَ هذا البحث إلى العوامل التي ترفع مؤشِر الثقة أو تؤدي إلى انخفاضه، وقارن بين مستوى الثقة لدى الفئات المختلفة داخل المجتمع الإسرائيلي، ولم يكن مستغربًا أن نجد الفئات الهامشية مثل اليهود المتدينين المتزمتين (الحريديين) والعرب والأثيوبيين أقل ثقة بجهاز الشرطة. وللاطلاع على البحث أنظروا: آبي بروخمان، طالي جورن، ميخال ديان بن زكري. رفع ثقة الجمهور هو التحدي الذي تواجهه الشرطة. مركز البحث في وزارة الأمن الداخلي.
www.police.gov.il/Doc/TfasimDoc/DocSEH.pdf(آخر مشاهدة ٢٠/١/٢٠١٦)

٨٩ المصدر السابق.

٩٠ تمار هيرمان، إيلا هيلر، حنان كوهين، دانا بوبليل، مؤشِر الديمقراطية الإسرائيلية ٢٠١٥. القدس. المعهد الإسرائيلي للديمقراطية. ٢٠١٥، ص.٨٢–٨٦.

٩١ المصدر السابق، ص. ٨٣.

٩٢ إيلي سنيور. قضية ريطمان، المكالمة المحرجة لدنينو. موقع ynet، ٢٠١٥/١٢/٩ http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4736911,00.html (آخر مشاهدة ١٧/١/٢٠١٦).

٩٣ يوسي ايلي وآبي اشكنازي، اللواء افرايم براخا، رئيس الوحدة القطرية للتحقيق في الاحتيال أقدم على الانتحار. موقع Walla, ٢٠١٥/٧/٥. http://news.walla.co.il/item/2869699(آخر مشاهدة ١٧/١/٢٠١٦)

وكذلك، عزري عمرام. بعد العاصفة: قائد جديد لوحدة لاهف ٤٣٣ في الشرطة. موقع Mako ٢٠١٤/٨/١٤.
www.mako.co.il/nes-law/crime/Article-de722e9f935d741004.htm (آخر مشاهدة ١٧/١/٢٠١٦)

٩٤ المصدر السابق.

٩٥ عيدو باوم وياسمين غويطة. الصفقات ولوثة الفساد في النيابة العامة والشرطة، قضية رونال فيشر هي بمثابة فيل ضخم.The Marker، ٢٠١٦/١/١٨.
http://www.themarker.com/law/1.2641716 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١/٢٠).

وكذلك، سبير حلفون.«قضية رونال فيشر أخطر بكثير من قضية ٥١٢. الفساد هو خطر وجوديّ قادر على تفكيك المجتمع. موقع غلوبس، ٢٠١٥/١/١٨. http://www.globes.co.il/news/article.aspx?did=1001063399 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١/٢٠).

٩٦ المصدر السابق، هنا نشير إلى أن ألون حسن الذي أفلت من هذه القضية، متهم بقضايا فساد أخرى كثيرة، جميعها تتعلق بسير العمل في ميناء أشدود.

٩٧ أنظروا سبير حلفون.«قضية رونال فيشر... (مصدر سابق).

٩٨ – عن مجتمع الحريديين في إسرائيل وأبرز الجوانب الاجتماعية والسياسية فيه، انظروا فصل المشهد الاجتماعي – المناعة الاجتماعية والتصدعات في المجتمع الإسرائيلي. ص٢٤٦–٢٤٨. تقرير مدار الاستراتيجي ٢٠١١.

٩٩ يئير إيتينغر، زعيم شاس: يحظر على النساء تلقي التعليم الأكاديمي – هذا ليس من مسالك التوراة. موقع هآرتس. ٢٠١٤/٦/٢٣.
www.haaretz.co.il/new/education/premium1.2357007 (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١٢/٢٠).

١٠٠ شنميت كيساري. كل حريدي عاشر يرتد عن الدين. موقع News1، ٢٠١٥/٦/٢٦
html.00-http://www.news1.co.il/Archive/003-D-93645 (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١٢/٢٥).

١٠١ شيلغ يئير. المتدينون الجدد. نظرة معاصرة إلى المجتمع المتدين في إسرائيل. القدس، دار النشر كيتر. ٢٠٠٠. ص١٦٩–١٣٦.

١٠٢ ميراف أرلوزوروف. رياح التغيير تهب على المجتمع الحريدي. موقع The Marker ٢٠٠٩/١١/١١.
www.Themarker.com/markets/1.539905 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١/٢٠).

١٠٣– حول الجرأة والشجاعة التي يتطلبها الإقلاع عن نمط الحياة الديني المتزمت وخاصة من الشابات الحريديات، وما يعاني منه الحريدي الذي يترك الدين من ردود فعل غاضبة وقطع علاقات اجتماعية حتى مع الوالدين والأخوة، انظروا القناة التلفزيونية ١٠ بتاريخ 3.4.2015israblog.nana10.co.il/blogread.asp?blog=819661 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/٢/٣).

١٠٤– 2015-www.mako.co.il/news-isarel/education-91
Article-d118d8693b16c41004.html. (آخر مشاهدة ٢٠١٦/٢/٥)

١٠٥– توجهت مجموعة مؤلفة من ٥٢ شابًا وشابة من الذين تركوا نمط الحياة الدينيّ، الذين لاقوا صعوبات جمّة في مجال القبول لمؤسسات التعليم العالي، إلى المحكمة لتقديم دعوى ضد الدولة ومطالبتها بالتعويض بمبلغ ٤ مليون شيكل لقاء مسؤوليتها عن عدم فرض تعليم المواضيع الرئيسيّة على جهاز التعليم الحريدي، انظروا ياكي أدمكر. عالقون بدون مواضيع التعليم الرئيسية: شبان مقلعون عن الدين يطالبون الدولة بالملايين. موقع Wall، ٢٠١٥/١٠/١١.
http://news.walla.co.il/item/2896348 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/٢/٣).

١٠٦– ياكي أدمكر. لماذا ينتحر أكثر وأكثر من المقلعين عن نمط الحياة الديني المتزمت؟ Walla, ٢٠١٤/١/٦

١٠٧– أبيشاي بن حاييم ،ما هو عمق الكسر في المجتمع الحريدي في أعقاب الأعداد العالية للمقلعين عن الدين؟ موقع أخبار القناة 10. Judaism.walla.co.il/item/2709364/news.nana10.co.il/Article/?Article_ID=1171396 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/٢/١).

١٠٨ للمزيد عن ديمغرافيا الحريديين، انظروا: المشهد الاجتماعي في تقرير مدار الاستراتيجي ٢٠١٥، ص١٩٩–٢٣٣.

١٠٩ لمشاهدة هذا الفيلم المتميز حول الظاهرة، وحول أزمة الهوية الذي تواجهه فئة الشباب في المجتمع الحريدي، وعن أسباب الظاهرة: شوهد في 3 2016/2/www.youtube.com/Watch?v=TRyzcovrithU

١١٠ موشيه هيلر. الانترنت يسبب السرطان. موقع nrg. ٢٠١٥/١٢/٢٠. html.402/320/www.nrg.co.il/online/54/ART2 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/٢/٣).

١١١ كوبي نحشوني. تمرّد التهويد: رجال دين من الصهيونية الدينية يقيمون هيئة تهويد بديلة. Ynet, ٢٠١٥/٨/١٠. www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4689429,00.html (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١٠/١٠).

١١٢ المصدر السابق.

١١٣ كوبي نحشنوني وموران أزولاي. «تمرد الهوية»: «إعادة اليهودية إلى الشعب». موقع ynet– ٢٠١٥/٨/١٠ www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4689478.00.html (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١٠/١٠).

١١٤ المصدر السابق.

١١٥ياكي أدمكر. إنجازات حزب يهدوت هتوراة: قانون التجنيد يُعدَّل، والوزير يحدِّد الأهداف. موقع walla. ٢٠١٥/٤/٣٠ News.walla.co.il/item/2850161 (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١٠/١٧).

١١٦ أمير بوحبوط. سنة تحقيق رقم قياسي للحريديين في الجيش الإسرائيلي: عدد المجنَدين ارتفع بنسبة ٢٠٪. News.walla.co.il/item/2853605 (آخر مشاهدة ٢٠١٥/١٠/١٧). موقع walla ٢٠١٥/٥/١٢.

١١٧المصدر السابق. وللعمل في هذا الاتجاه الذي يعتمد التوافق وليس **القسر ألغى الجيش وظيفة رجل الدين الذي يعمل على دمج الحريديين لأنه يلحق الضرر بمساعي التجنيد أكثر مما يفيدها.** بتاريخ ٢٠١٥/١٠/٧ – News.walla.co.il/ item/285038 (آخر مشاهدة ٢٠١٦/١/١٧).

١١٨ أمير بوحبوط. رقم قياسي لتجنيد الحريديين للجيش الإسرائيلي في كل الأزمان: ٢٣٠٠ مجنّد في السنة، موقع ، walla ٢٠١٥/١١/٥.

١١٩ بئير شركي. ما هو عدد الحريديين المجندين منذ سن قانون التجنيد؟ موقع Mako– أخبار القناة الثانية، ٢٠١٥/١/٢٢. Article-80cf0231/2015-www.mako.co.il/news-military/security-q1

١٢٠ – أتيلا شومفلبي. لا مساواة في الأعباء: أُقِرَ تعديل قانون التجنيد. موقع ٢٠١٥/١١/٢٤–ynet. www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4729757,00.html (آخر مشاهدة ٢٠١٦/٢/٣).

١٢١ يسرائيل كوهين. اعتقال متهمين بالقيام بنشاط ضد تجنيد الحريديين للجيش. موقع كيكار هشباط، ٢٠١٦/١/١٢. www.kikar.co.il/190291.html (آخر مشاهدة ٢٠١٦/٢/٥).